رواية

دعاء إبراهيم

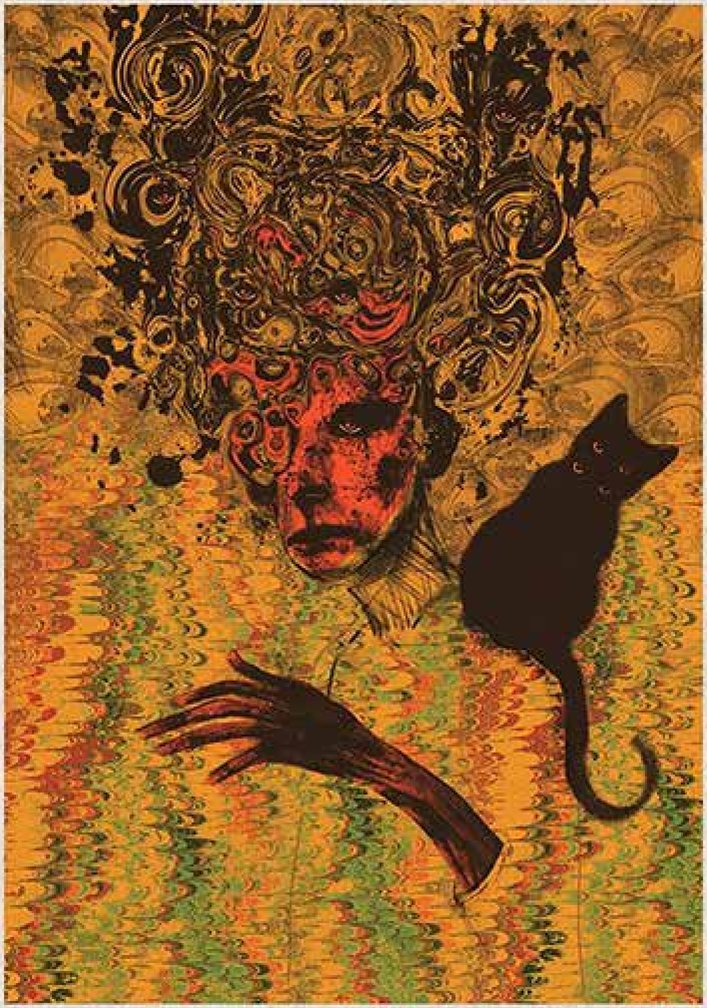

سِتُّ أرواحٍ تَكْفي للّهْوِ

منشورات إبيبيدي

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سِــتٌّ أرواحٍ تكْفِي لِلَّهْوِ

رواية

دعاء إبراهيم

t.me/qurssan

عنوان الكتاب: **سِتُّ أرواحٍ تكْفِي لِلَّهْوِ**

تأليف: **دعاء إبراهيم**

الترقيم الدولي للكتاب **9789778546613 ISBN طبعة دولية**

التصنيف الموضوعي (ثيما): **رواية - تشويق وإثارة نفسية Thema Codes: F - FHX**

الطبعة : **الأولى - 2019** رقم الإيداع : 2019/5379

التحرير والتدقيق اللغوي: **إبييدي بوك داتا ibiidi BookData**

لوحة الغلاف:

تصميمات إبييدي

سوليمان

خدمات إبييدي بوك داتا للنشر

ibiidi BookData Publishing Services

www.ibiidibookdata.com

Windsor, UK & Alexandria, Egypt

www.ibiidipublishing.com

الناشر : **منشورات إبييدي - إبييدي مصر**

سموحة - الإسكندرية info@ibiidipublishing.com

\ibiidiPublishing \ibiidiPubAR

اطلب جميع الإصدارات من www.ibiidi.com

© جميع الحقوق محفوظة للناشر و أي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو أي وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

t.me/qurssan

إهداء

إلى الذين لن يقرَؤُوا هذه الرواية أبدًا؛

فلديهم من القصص ما يكفي!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(1)

خارج حدود العقل.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

اليوم قتلتُ أحدَهم؛ احتضنَ السكين بين ضلوعه في عناق طويل، وربما أبديٍّ! التصقتْ عيناي بالسكين الذي لم يخطِئ هدفه، والتفَتُّ مذعورًا لأطمئن أن الزقاق خالٍ من الرفقاء، لم يَرَنِي أحد لحسن الحظ.

لم يكن هناك غيره، ينتظرني في نهاية الزقاق المخنوق بين بنايتين، بَدَا لي أنه يتحرك نحوي؛ خطوة، اثنتين، ثلاثًا، ثم يلامس كتفي كتفَه، ويلتفت بهدوء دون أن ينظر إليَّ بدقة ليقول: معذرة! ويمر المشهد بشكل عاديٍّ دون أن يشعر أنه تَسبَّب لي بمشكلة قد لا يكون لها حلٌّ!

قلت لنفسي: لا بدَّ أنه ذاك الرجل الذي يراقبني منذ فترة، في كل مرة أستشعر وجوده أتعثَّرُ في خوفي، ثم أُطلِق أقدامي حتى أَصِلَ إلى منزلي، لكنِّي أتجاوزه بشارع أو اثنين حتى أتمكن من خداعه. وعندما يتأكَّد لي اختفاؤه أعاود ثانيةً، لكنه في الآونة الأخيرة لم يتوقف عند هذا الحدِّ؛ كنت أشعر بأنفاسه خلفي على درجات السلم كثعبان، أسمع فحيح انبعاثه من جانبي لينقضَّ عليَّ في اللحظة المناسبة، يقفز قلبي تاركًا صدري، وتنسحب روحي معه. أتلفَّتُ للخلف، فلا أراه، كشبح يسير خلفَكَ دون أن تتمكَّن من تلابيبه.

أعاوِدُ صعود درجات السلم، أتملَّص من خوفي دون فائدة، لا أثر له، كان لا بدَّ لي أن أُخْفِيَ سكِّينًا أسفل بنطالي ليمسك زمام قلبي ويمنعه من القفز المستمر ككرة اليويو. جرَّبتُ أكثر من

t.me/qurssan

طريقة لإخفائه دون أن يَبْرُزَ سِنُّهُ اللامع أثناء المشي أو الجلوس، مما كلَّفني بعضًا من ملابسي التي أصابها القَطْع في أكثر من مكان. غلَّفْتُ حدَّه المسنون ببعض الأقمشة، وأغلقت الحجرة بإحكام كي لا يراني أحد. لو رَأَتْني زوجتي ستخاف من هيئة السكين، ستسأل، وسأضطر للإجابة. ستتوسل إليَّ أن أخبرها الحقيقة، ستمسك السكين وتقسم علي أن أتركه كي لا يُصاب أحد في موقف طائش. ليتني تركته!

الليلة، الأمر تطور لدرجة مخيفة؛ لم يكن الرجل خلفي كما اعتدت، لم يكن شبحًا، إنه أمامي مباشرة من لحم ودمٍ، دَم يغلي بكراهيتي دونما سبب، أشم عرقه ورغبته في إلحاق الأذى بي، من السهل أن أتراجع للخلف، أن أستدير فجأة بعد خطوتين مخادعتين، أن أتوقف في محاولة بائسة لتفحُّصِ ظلمة الزقاق الضيق القذر، والتفكير في خطة بديلة كَأَنْ أفكر في سبب العطل الذي حدث لماسورة الصرف! أو مصدر المياه التي تصنع ضجيجًا متناغمًا: تِنْ، تِنْ، تِنْ! ربما لو فكرت قليلًا لعرفت أن هناك رجلًا مَرَّ من هنا والإضاءة ساطعة، نظر إلى الضوء الأصفر وقال لنفسه: «قليل من الهدوء، قليل من الظلمة.» بعد أن أمسك في يده حجرًا، وانطلق وهو يسمع سِبَاب المصباح المكسور، تأملت المصباح في شفقة، وقلت: «لماذا أسير في شوارع مظلمة بهذا الشكل؟!» لو غيَّرتُ اتجاهي فجأة -كمن اكتشف أن حذاءه سيتَّسخ إذا أصرَّ على المواصلة- قد يدفع القتيل للتراجع! لكنَّني لا أدري: لماذا يبدو الأمر مستحيلًا؟! ماذا لو صرخت طالبًا

t.me/qurssan

النجدة؟! سينكر بالتأكيد أنه يَتْبعني منذ زمن، وربما يستغل الموقف لصالحه ويدَّعي أنَّني مجنون. كل شيء أخذ دورته في رأسي عَدَا أن يُلامِس كتفه كتفي، ويلعقني بنظرة عن قرب، نظرة فاحصة لعيني، تلك النظرة التي يجيدها كثيرون، نظرة ثابتة وعميقة لمركز الرؤية مباشرة. سيعرف أنَّني خائب في قيادة بؤبؤ عيني وفقًا لرغبتي، فأنا لا أعرف تحديدًا من أين يأتيني الخطر؟! لم ألتقط ملامحه حتى حين لامسني بجسده المربَّع، لم أنتبه سوى لبدلة أنيقة تَنُمُّ عن رجل مخابراتيٍّ فريد، بدلة تحتضن سكينًا مرتعشًا بين أصابعي. المشهد يبدو كحلم سخيف في زقاق ضيِّق غارق في مياه المطر والصرف، حيث يبدو كل شيء هناك ملائمًا لجريمة قتل!

تركت كل شيء خلفي وجرَيْتُ، خطواتي الثلاث، بصماتي على السكين المغروس، بدلته التي تشبه بدلة عُرْسِي، جسده المدمَى، وجهه الذي لم أقدر على رؤيته، لن أتحمل أن أسمع نظرته وهي تقول ببراءة وذعر: «ما بِكَ أيها المجنون؟!».

ورغم أنَّني لا أعرفه حتى الآن بشكل مؤكَّد وحَسْمِيٍّ؛ لكنَّ صوته يخبطني كالرعد في رأسي:«ما بك أيها المجنون؟!».

الأزقَّة تسير بي كعادتها كل يوم كأن شيئًا لم يحدث، تأخذني في حضنها البارد حتى باب بيتنا، ذاك الحضن الذي يشبه قبرًا، يرحِّب بوافد جديد، يليق بقاتل لم يتجرَّأ يومًا على قتل حشرة، الخوف قتله بِيَدَيَّ. كنت مستسلمًا لتلك اللسعة التي تصيب

t.me/qurssan

الموتى، وخائفًا من جثة تتوعَّدني، جثة بها طعنة، أو ربما طعنتان، تبتسم لي على جانب الطريق في فزع، فتبرز أسنانها من بين عظام الجمجمة وهي تَعِدُني أن تُحَوِّل حياتي لجحيم، انتزعتني صرخة امرأة من قبري الأسفلتيِّ، لا بدَّ أنها تعثَّرت في الْمُلْقَى هناك، في الزقاق المخنوق برائحة العفن. تسير المرأة ولا تُدرِك أنها ستلتقي به وهو يحاول أن يُوقِف خطواتها بجسده العرضي، شهقت، ثم قَلَّبَتْ جسده وأدركت أن أنفاسه انقطعت منذ دقائق، وأنه لا يزال دافئًا كحَيٍّ يمكن إصلاح ما فسد منه! تعالت صرخات المرأة، واشتبكت في نواحها مع مواء قطة أنهت لِتَوِّهَا علاقة حميمية مع قط تكرهه! القطة عاهرة كالمرأة التي لا تَكُفُّ عن الصراخ!

أدركْتُ أن صراخ تلك المرأة قادر على إيقاظي، واشتعلت رغبتي في خنقها حتى تَكُفَّ وتموت في زحام جسدي المشتعل، نسيت تلك الأشياء منذ وقت طويل؛ أن يلامس جسدي جسد امرأة تصرخ بغنج! لم تَعُد الملابس القصيرة أو الضحكات المعجونة بالرغبة تستهويني، لم يَعُد وجه زوجتي يُحرِّكُني، أرقد كل يوم منكفئًا على بطني داخل سريري أفكر، أصنع بداخله حفرة يزداد عمقها كل يوم، آلاف الأفكار تَنْكَبُّ فوق رأسي، لكنَّ فكرة كتلك لم تراودني من قبل؟! هل أحب العنف؟! لا أدري، في الآونة الأخيرة تَرِدُ إلى ذهني أفكارٌ لا تخصُّني! ليست لي! كيف أتى الخنق على رأسي المشوَّش؟! وكيف شعرت بلذَّة المشهد دون أن أجرِّبه من قبل؟! كأن أحدهم جرَّبه ودَسَّ بداخلي نتاج تجربته، كم صِرْتُ أجهل عن نفسي أكثر مما أعرف!

t.me/qurssan

كل يوم يمر عليّ -ونُهَى تتقلَّب في نومتها- أُفَكِّرُ، ربما تخونني كقطة مع أي ذكر يرمقها في الشارع! وللقطط أرواح عِدَّة! ستشم رائحة الدم الممزوج بالمطر وتموء، تَتَشَمَّمُ الْمُلْقَى هناك وتلعقه بلسانها الحار لتصلح ما فسد فيه، وما فسد فيه ليس سوى ثُقْبٍ ينفذ إلى القلب، فقط ثقب بحجم عقلة الإصبع يسهل إصلاحه بإحدى أرواحها السبع، ستقول المرأة بجوار الجثة: «سِتٌّ أرواح تكفي لِلَّهْوِ، السابعة لك يا حبيبي المقتول!».

صوتها سيوقظ فيه العزم ليقوم من رقدته، سينهض من الموت ويأخذ بثأره وثأرها، لا شيء في الدنيا يستحق مواء قطة عاهرة، ولو كان هذا الشيء هو أنا!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(2)

وقت للهرب!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

لم يَعُد يطاردني رجل لا أعرفه فحسب، بل رجل هَزَمَ الموتَ على يد امرأة! مَنْ أقوى مِنْ رجل هزم الموت على يد امرأة؟! أعطَتْه رُوحًا من أرواحها، سيأتي لينتقم مِنِّي! لم أقصد قتله! لماذا لا أتخلص من هذا الجحيم؟! أليس من السهل قتل نفسي بدلًا من الوقوع في تلك الورطة؟! لكنَّي لن أموت قبل أن أعرف: هل القطة بجوار الرجل الميت زوجتي؟! أم عاهرة أخرى؟!

تحرَّكْتُ في الشوارع المظلمة أتجنَّب الأضواء التي تفضحني، أيَّةُ حركة غير محسوبة قد تُودِي بحياتي، وضعْتُ يدي في جيب البنطال لأُخفِي آثار الدم، كلما رأيت أحد المارَّة تصنَّعْتُ الانشغال بالطريق دون أن أرفع رأسي لأراه، رأسي مُطَأْطَأ من الخوف والخيبة، عَلَا صوت همهمة من شارع مجاور، تحسَّبْتُ أن تكون تلك الهمهمة حول القتيل، تتحرك سريعًا لتمسك بالقاتل قبل أن يتمكَّن من الفرار، انطلقت أقدامي تشق الطرق الأكثر ظلمة كطلقة جامحة، وكلما قطعت مسافة أكبر؛ ارتفعت الهمهة التي تطاردني، في النهاية اختبأت داخل بناية متهالكة، مكثْتُ أسفل سلالمها الرطبة المتآكلة حتى خَفَتَتْ الهمهمة، ثم صَمَتَتْ تمامًا، ربما مرَّت ساعة، زَفَرْتُ بعض الهواء القلق خارج صدري، واطمأنَنْتُ قليلًا إلى الهدوء الذي يحاول أن يسود بالخارج.

هَدَأَتْ نبضات قلبي من ضرباتها الجنونية حين دخلت من باب العمارة التي أسكن بها، خلعت حذائي كي لا يُصدِر أيَّ صوت على السلم، لا أريد لأحد أن يشعر أنَّني لم أكن نائمًا في سريري

t.me/qurssan

الدافئ بجوار زوجتي، كي لا أضطَّر للإجابة عن سؤال المحقِّق:

- أين كنت وقت ارتكاب الجريمة؟!

أخرجتُ مفتاح الشقة بيدٍ مرتعشة، كنت أنظر للخلف مع كل لفتة للأمام، لم يظهر بعد! قلت لنفسي: ما زال أمامي وقت للهرب!

هرعت سريعًا نحو الحمَّام لأنظف يديَّ من آثار الدم، خلعت ثيابي التي اكتشفت بها بعض الرتوش، فكرت في حرقها كما أرى في الأفلام، لكنَّني تراجعت حتى لا تنتبه أمي ونُهَى. وضعت الثياب في البانيو، سأغسلها لإزالة بقع الدم، كثير من الكلور المركَّز سيُخفي ملامحها، تذكَّرت السكين وبصماتي فوقه! كيف تركته خلفي يشير إليَّ؟! عاد قلبي لخفقانه المضطرب، وارتبكتْ أنفاسي، سأموت من القلق! سيتوقف قلبي قبل أن يَصِلُوا إليَّ! هل سأبقى في السجن بقية حياتي؟! وقد يُصدِرون الحكم بإعدامي، الإعدام أفضل على كل حال!

أمي تصلي الفجر في صالة البيت وتدعو عليَّ بصوت مرتفع، لكنها أبدًا لا تدعو أن يُخلِّصَني الله منها ومن أعدائي! هل سيقبل الله ابتهالاتها؟! لا أظن! دلفت سريعًا إلى حجرتي، زوجتي نائمة، لن أتمكن من النوم الليلة وسط كل هذا العدد من القطط والرجال. نظرت من النافذة، الشارع بدأ يستيقظ على أنباء الجريمة سريعًا دون أن ينتظر للصباح، حَمَدْتُ الله أنَّني تمكَّنتُ من العودة قبل انتشار الخبر، ارتفعت همهمة جماعية بغضب منفلت: ميت آخر!

t.me/qurssan

هل قُتِلَ أحد من قبل؟! شعرت برأسي فقاعةً أوشكت على الانفجار من أثر القلق! القتل صعب. وأنا متعب! وزوجتي نائمة كملاك يتقاعس عن عمله ويغفل عن حجم الشر الذي تضخُّه الأرض كل يوم. أثارتني رقبتها البيضاء الناعمة، لامستها بأصابعي، واشتهيت وجهها الملوَّن بالزُّرقة بين أوردة تصرخ من الاحتقان والرغبة، ستموء داخل جسدي وترتعش رعشة الموت الأخير. ضغطتُ أكثر فخبطتني نبضات قلبها الزاعق: توقف! هي لا تستحق!

انتفضتْ يداي وأطبقتها على أصابعي الخاوية وبكيت، أي شيطان يتلبَّسُني الليلة؟! أيقظتُها في غضب بعد أن مسحتُ دموعي لتصنع لي كوبًا من الشاي، استجابت سريعًا كأنها لم تكن نائمة، وأفلتَتْ منِّي الفرصة!

لم أَنَمْ طوال الليلة، قلبي يصنع ضوضاء صاخبة بجوار أذنيَّ، سقطت في النوم ساعةً مع بداية الصباح، ثم استيقظتُ على رائحة الشاي الساخن جواري وصوت زوجتي. تأمَّلت (الكومودينو) الذي يعلوه كوبان من الشاي، أحدهما بارد والآخر ساخن، الدخان يتصاعد بهدوء، أعلم أن الشارع يغلي بأخبار الجريمة، والدخان الذي سَيَلِي الأحداث سيظل هادئًا يتصاعد بخفة نحو أنفي، سيقتلني ذلك الهدوء الذي سيستمر طويلًا، فترة طويلة أخرى من القلق؛ تحقيقات، كلمات، إشاعات، ثم ينتهي الأمر إلى حبل المشنقة. فكرت في سؤال زوجتي عن أخبار

t.me/qurssan

الشارع، لكنِّي تراجعت كي لا ألفت انتباهها، خصوصًا أنها تَشُكُّ في دائمًا، كأن كل ما يصيب الدنيا من عطب هو من فعل يدي! لا مجال للخطإ منذ اليوم، سأتابع الأمر من موقع الأحداث؛ ارتديت ثيابي في عَجَلٍ دون أن أضع سكينًا؛ وجود آلة حادَّة معي يمثِّل خطورة، لا بدَّ أن المنطقة مليئة بالمخبرين، كنت مُشَوَّشًا بمئات الأفكار التي لا أعرف من أين تقفز إلى ذهني؟! وأَسْوَؤُها على الإطلاق هذا الجوع الذي يلح عليَّ الآن كأنَّني لم آكُلْ منذ عام! فبينما أفكر في ملمس حبل المشنقة على رقبتي، وعشماوي الذي سيسألني عن رغبتي الأخيرة، وما يمكن أن يحدث لي داخل الحبس الاحتياطي، وخوفي من السير في الشارع في ذلك الوقت لِئَلَّا أصطدم بضابط يَشُكُّ في هيئتي، يقلب هَنَاتي المهتزة في عقله، ويستنتج بسهولة أنَّني الفاعل! بينما أفكر في هذا كله، ظل الجوع يقفز إلى عقلي ويشلُّ تفكيري! فلو سألني المحقِّق عن سبب قتلي للرجل المسكين، من الممكن أن أخبره ببساطة أنَّني كنت جائعًا! والقتيل كان يحمل (ساندوتشين) من الفول الذي أحبه، أو أنَّني لم أقتله لأنَّه كان يحمل ساندوتشات البطاطس التي أكرهها، سيحاصرني بالأسئلة، وسيخبرني أنه لا يعرف شخصًا غيري يكره البطاطس! سأوافقه الرأي؛ فأنا لم أقابل شخصًا يكرهها من قبل رغم طعمها المقرف، والدهون التي تنتشر بها، وما يترتَّب على ذلك من أضرار تَصِلُ إلى التسبب في الوفاة! لكنهم لن يصدقوني كعادتهم!

t.me/qurssan

المشكلة الحقيقية تكمُن حين يسألني عشماوي عن آخر أمنية لي فأخبره أنَّني لا أَوَدُّ أن أموت وأنا جائع! فيرسل في طلب بطاطس مقلية ساخنة؛ لأنه أيضًا لا يعرف أحدًا يكره البطاطس! سيتحول الأمر لكارثة، سأموت وأنا جائع! أو سأضطر في النهاية لتناول وجبة أخيرة أكرهها، هل يستحق الأمر كل هذه المعاناة؟!

تحركت في الشارع متثاقلًا ومتظاهرًا أنَّني لا أعرف شيئًا عمَّا يحدث، أتثاءب بين الحين والآخر، ليبدو على وجهي أثر النوم العميق الذي حجب عَنِّي الأخبار، ولأخفي علامات الأرق. جلست على المقهى الذي يقع عند ناصية الحارة، حيث يتجمَّع أكبر عدد من سكان الحي. كان أهم ما يشغل بالي هو كَبْتُ جوعي أولًا. ساندوتشات الفول بالزيت الحار كانت كافِيَةً لترتيب رأسي وإيقاف التشويش. سمعتُهم يتحدثون عن جنازة جارنا سعيد سواق التاكسي الذي توفي بالأمس، هل قتلْتُ سعيدًا دون أن أدري؟!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(3)

سعيد جُثَّةٌ حَيَّةٌ!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سعيد يملك جسدًا نحيفًا، ولم يَرْتَدِ بدلة طوال حياته، لكنَّه يتمتَّع بحِسِّه المخابراتيِّ؛ حيث يشبه أنفه الطويل أنف فأر، ربما كان يراقبني ويتجسَّس عليَّ، إنه دائم السخرية من الجميع، ولم يَكُنْ يسخر منهم من وراء ظهورهم؛ لديه القدرة على السخرية من الشخص أمامه، كأنَّه يتحدَّث عن شخص آخر غير موجود. يضحك مِنِّي أمام مَنْ في المقهى كلَّما أخبرتهم بشيء لم ينتبهوا إليه من قبل، كقولي لهم: إنَّني لا أُشْبِهُهم! أو حين أخبرهم أن القطط تثير اشمئزازي، وأن جارتنا (كريستين) تربِّي هذا العدد من القطط ليُعوِّضَها غياب زوجها الميت، أو حين أمنعهم من التحدُّث في السياسة؛ لأنَّني أَشُمُّ رائحة المخبرِين عن بُعْدٍ. يبتسم سعيد، ويسألني:

– وأنت جنسك إيه بقي؟! مولِّف على إيه؟!

ينفجر المقهى بالضحك وأنا أُزِيح العَرَق عن جبيني، أحاول أن أرفع صوتي بين صرخاتهم التي تتناوبني بإيحاءات غير لائقة، ورغم ذلك يَكُفُّون عن السياسة كمَنْ وجد الفرصة للإفلات من عيون المخبرِين الذين أَشِي بهم، بعد أن وجدوا غنيمة أخرى يمكنهم الاشتراك في ذبحها والتسلية!

لا أُخفيكم سِرًّا أن سعيدًا كان يَسْخَر من نفسه أمامنا جميعًا، ومن أبنائه، وأحيانًا ما تطول سخريته زوجَتَه نفسها؛ فيَصِفُها مرَّة بالنكديَّة، ومرَّة أخرى يَسْخَر من عقلها الذي لا يليق بنملة. كان يتمتَّع بحِسٍّ فكاهي قادر على إسقاطنا في نوبة من الضحك، حتى

t.me/qurssan

الذي ينال حظَّه من السخرية كان يضحك، وتختلف الضحكة حسب شدة السخرية؛ إما ضحكة حقيقية صادرة من القلب، أو ضحكة صفراء.

لم أكن أكره سعيدًا للدرجة التي تدفعني لقتله، ارتبكْتُ كثيرًا، وحاولت أن أشارك في الحديث، أو في إظهار القليل من الحزن، لكنَّي لم أستطع أن أقتله وأبكي في جنازته. وجدت الجميع ينظرون إليَّ، لا أدري هل حدث ذلك بشكل مُرَتَّب؟! أم أنهم انتبهوا إليَّ في لحظة واحدة بشكل مفاجئ دون ترتيب. نظرت إلى السماء، وسألت بصوت مبحوح كأنه خارج من بئر مغلق لم يَمسَسْه أحد منذ سنين:

– هو مات إزاي؟!

لم أسمع إجابة، توقَّفوا عن النظر إليَّ، مدركين ألَّا شيئًا جديدًا سأقوله يشفي نار فضولهم، ولا جدوي من متابعتي. كان ذلك جيِّدًا؛ إذ إنَّه سمح لي بالتصرُّف بحرية دون تكلُّف، لكنها في النهاية حرية لا تخلو من الحرص.

طلبت فنجانًا آخر من القهوة ليساعدني على التذكُّر. ألقيت نظرة على الوجوه حولي؛ عيون المخبرِين تلتهم حركاتنا وسكناتنا، أحسست بأكثر من عين تنغرس داخل جسدي المتعرِّق المرتعش، الذي أحاول إخفاءه بصنع كُتْلَة هلامية أمام صدري، أسير بأيدٍ مرتخية تروح وتجيء، ورقبة متدلِّية، لكنهم

t.me/qurssan

على المقهى لم يتناولوا قصة قتله بسكِّين! ربما هم خائفون مِثْلِي من أجواء الشارع، وما أن يحتموا ببيوتهم حتى تنطلق ألسنتهم بلا توقُّف، تأكَّدت اليوم أنَّني قتلت سعيدًا، وأنه مات بلا رجعة!

حين بَدَأَت الرتب الأكبر سِنًّا في التوافد إلى الحارة شعرت بضرورة الانسحاب، رأيت نفسي أنفلتُ من بينهم كي أتمكَّن من الهرب، مما لَفَتَ انتباههم إلى هيئتي بصورة أكبر، أوقفني أصغرهم سِنًّا:

- بطاقتك؟!

عَدَلْتُ عن الفكرة سريعًا، والتحمت مفاصلي بأرجل الكرسي تخشى التحرُّك في أي مكان، فكرة غبية أن أُتَابِع الأحداث من الشارع، كان من المفترض أن أغيب عن العيون اليوم بحجة أنَّني مريض، ليس هناك وقت لأضيِّعه، عليّ أن أُرَتِّب بعض الردود المقبولة إذا تم سؤالي؛ لأنهم سيسألونني يومًا ما.

- أين كنتَ وقت ارتكاب الواقعة؟!
- كنت نايم في البيت.
- عندك شهود؟!
- آه، أمي وزوجتي.
- بس؟ طب إيه رأيك في سعيد؟ وعلاقتك بيه كانت عاملة إزاي؟!

t.me/qurssan

- سعيد إنسان محترم جدًّا، كلِّنا بنحبه، أنا مش قادر أتخيَّل إنه اتقتل!! مين ده اللي معندوش قلب وقتله؟!

أعلم أنَّني أبالغ قليلًا، لكنَّ الإجابات تبدو منطقيَّة، هكذا يتحدَّث الناس عن الموتى، الموتى الوُدَعَاء الذين لا يدمِّرون حياة الآخرين ببساطة!

هَمَّت كتلة من الرجال بالتحرك بعد أن دفعوا حساب المقهى، قرَّرت أن أَلْحَقَ بهم، أنغمسَ داخلهم كي لا تلتقطني عيون الضباط. اتجهوا نحو منزل سعيد، الأمر يتطوَّر! تحرَّكْتُ قليلًا للخروج عن الحُزْمَة والسير وحدي في اتجاه بيتي، والمكوث بداخله لفترة طويلة حتى تنتهي التحقيقات. سأتحجَّج بأنَّني مريض، وسيصدقونني، سمعت صوتًا أجَشَّ من خلفي يسأل:

- رايح فين؟!
- رايح معاهم.
- طب إخلص، مش عايزين حد في الشارع.

التحمتُ بالحُزْمَة ثانيةً، دخلنا العمارة التي يسكن بها سعيد، ثم بدَؤُوا يتفرَّقون داخل شُقَقِهم، بقيت وحدي على السلم. أَحْسَسْتُ أن هناك أحدًا يتبعني، هل صعد خلفي أحد المخبرِين؟! توقَّفتُ وألقيتُ نظرة على السلم؛ فوجدت مجموعة من الجلاليب السوداء صاعدة خلفي، لا يمكنني تمييز بعضها عن بعض، أسرعت كي لا يكون هناك فرصة للحديث كأن أقول: البقاء

t.me/qurssan

لله، كان راجل جدع. أو أن أسمع كلمات مثل: البقية في حياتك. وقفت على عتبة شقته لا أعرف ماذا عليَّ أن أفعل؟! اتضح لي أنها لا تَحْوِي غير النساء؛ فالرجال في الشارع يتم التحقيق معهم، سيبدو وجودي مُرِيبًا بينهنَّ، تسحَّبتُ للنزول في الوقت الذي نادتني فيه إحداهن، امرأة مُسِنَّة، بَدَا لي أنها أمه:

– تعالَى، تعالَى، سعيد كان بيحبك أوي.

– يمكن!

احتضنتني، وبكت دون أن تسمع صوتي المبلوع، بداخلها حزن حقيقي، وبداخلي ندم. بكيْتُ، وارتفع صوتي حتى (النهنهة). لست مجرمًا، لم أقصد ما فعلته، هو الذي اضطرني لذلك، كرهت نفسي أكثر من أي وقت مضَى! ألم يكن من الأفضل أن أقتل نفسي بدلًا منه؟! الفراغ الذي سأتركه لن يؤلم أمًّا مكلومة كأم سعيد! لا أحد سيفتقدني لو غِبْتُ، رَبَتَتْ أمه على صدري، وأقسمت عليَّ -رأفة بحالي- أن أرى الفقيد قبل أن يَتِمَّ دفنه، تلقَّفتني الأيدي حتى صِرْتُ أمام حجرته في عُقْرِ داره، تسمَّرتُ أمام الباب، لماذا يعاقبني الله بتلك الطريقة؟! لماذا يَكرهني إلى هذا الحد؟!

خَطَوْتُ نحو حجرته لأتعرَّف على الثقب الذي أحدثْتُه بداخل جسده الهزيل، لم أكن جاهزًا لتلك اللحظة، أنا وهو للمرة الثانية وحيدان ولكنَّنا في حجرته الضيقة! أنا وهو! كل مِنَّا ينتمي لعالم مختلف؛ حيٌّ ومَيِّت! قاتل ومقتول! تقدَّمْتُ أكثر من السرير

t.me/qurssan

البارد، خسرت معركتك يا سعيد، كسبتها أنا مصادفة يا أخي، لكن ذلك لن يُغَيِّرَ ما حدث! اقتربت أكثر من الجسد المغطَّى بملاءة ملوَّنة بخطوط حمراء وزرقاء، تحسَّستُ صدره دون أن أكشف غطاءه. كيف تحوَّلْتُ لمجرم؟! جلست على طرف السرير، أَحْسَسْتُ بحركة أسفل الملاءة! حركة خفيفة! ارتعدْتُ أتوسَّل إليه أن يتركني لحالي! لم أتجرَّأ على نزع الملاءة! فقط تسمَّرْتُ في مكاني أرتعش!

تَحَرَّكَت الملاءة ثانيةً لكنْ بصورة أعنف! لا يمكن تلك المرة أن أُكَذِّبَ عينيَّ، ظلَلْتُ في مكاني أخشى التحرُّك، بينما يتحرَّك سعيد بحرية أسفل ملاءته الملونة، ربما هو غاضب من ألوانها التي لا تليق بجلال الموت، الموت هو ذاك الانغماس في البياض، اللون الباهت الذي لا يُوحِي بشيء، أَحْسَسْتُ بسعيد ينزع سِكِّيني وينتظر اللحظة المناسبة ليزرعها في صدري ثم يضعني دون مجهود منه داخل تلك الملاءة المقرفة. لا بُدَّ أنَّ عَرَقَه ودمه -وربما بَوْله- امتزج بها. تقيَّأتُ على وجهه المختفي، ثم شهقت أبحث عن الهواء؛ أتنفس بهدوء حتى لا ينزعج، فهو لم يَعُد يحتاج تلك الأنفاس المتسارعة. وقفت أنتظر انتقامه في استسلام، انتقام رجل لا يُمكِنُني خنقه، رجل لا يحتاج ذَرَّات الهواء التي ألهث خلفها، كنت أسعى دومًا نحو الموت، لكنِّي لا أريد أن أموت من الخوف.

تحركَت الملاءة مجدَّدًا، تأكَّدتُ في تلك اللحظة أن سعيدًا

t.me/qurssan

سيخرج إليَّ ويسبَّني على ما فعلتُه بملاءته، وقبل أن يفعل سيُلقِي إحدى نِكَاتِه بنظرة مستخِفَّة شَامِتَةٍ، كأنْ يقول مثلًا:

– حتى القتل خايب فيه؟! أُمَّال فالح في إيه؟!

وجدْتُ نفسي أمام سؤال وجيه من جُثَّةٍ متحركة: «أُمَّال فالح في إيه؟!» كنت مضطرًا للإجابة؛ لأن السؤال حَازَ أهمية مختلفة حين طُرِحَ بعد الموت، تلعثمْتُ، ثم انطلق لساني موضحًا أنَّني كنت أذاكر طوال حياتي دون أن أُصبِح فالحًا، أُغلِق الحجرة وأمكث أمام الكتب، تسحبني الحروف إلى عالم آخر كالمنوِّم، فَأَعُدُّ الحُفَرَ في الحائط الماثل أمامي، أصنع خربشات على المكتب، أستكشف القلم مبعثِرًا حبره على الصفحات البيضاء، أَتَتَبَّعُ خيط النمل، ثم اتفنَّن في قتله وتخويفه، وحين يتملَّكني الملل أملأ الفراغات البيضاء بشخبطات مُمَوَّهةٍ، وجوهٍ، ورودٍ، أعين أحيطها بِدَلَّايات زرقاء، حتى تهلك الأوراق من كثرة اللهو الذي يشبه المذاكرة. مع الوقت تحوَّلَتْ شخبطاتي إلى نُهُودٍ وحَلَمَات، نُهود كبيرة، نُهود صغيرة، تختلف الحجرة من حولي. أرى كل شيء يتدلَّى نحو عيني ويهتزُّ في خِفَّة وتواطُؤ. أحفظ الصور في ذاكرتي من المجلات التي تَخْرُجُ أسفل المكاتب في المدرسة، أشاهد من بعيد دون أن ينتبه أحد من زملائي، وحين يحاول أحدهم أن يقحمني أتصنَّع اللامبالاة، كأنها لا تُرهِقُني مثلهم، أو كأنَّني العارف بكل شيء وقد امتلأ فضولي، وشبعت نفسي. شعرت أنَّني بذلك أحفظ كرامتي، أُخْفِي ذلك الضعف الأهوج، أحفظ لضعفي سِرِّيَّته فلا يتكَشَّف. الضعف أمام أيَّةِ امرأة لمجرَّد

t.me/qurssan

أنَّها كائن آخر يختلف عَنِّي، أحب اختلافهن وأشتهيه، ثم أسأل نفسي متفلسفًا: لماذا؟!

شعرت بسعيد يغمزني ويقول:

– برده مش عارف ليه؟! الستات دول الدلع كله، هُوَّ في حاجة في الدنيا أحلى من الستات؟!

أَوْمَأْتُ موافقًا، ولأن (الستات) أشهى ما في الدنيا تحوَّلَتْ عيناي فجأة إلى منظار كبير، أرقب كل شيء بعدسات مُقَعَّرة، كل شيء يبدو ضخمًا، أتلمَّس كل همسة، ضحكة عالية، نظرة في العين مباشرة، قطعة داخلية تبدو من ملابس تشف قليلًا، سقطة تُظْهِرُ ساقًا أو قَدَمًا، نَهْدًا يتمرَّد ويهتز قليلًا أثناء المشي، أتعجب من قدرتي الهائلة، كل حواسِّي صارت ملقاطًا كبيرًا مهمته هي الالتقاط فقط. أتذكَّر كلام الشيخ في خطبة الجمعة عن غَضِّ البصر فأغض بصري، لكنَّ النظرة الأولى كافية لشقلبة حالي، وضياع يوم آخر بلا مذاكرة، يوم آخر وأنا أشخبط البياض وأمزقه، البياض الذي جعلني أفشل فشلًا ذريعًا في الإعدادية. بكت أمي، ولم أَسْلَم من وصلات مطوَّلة في تأنيبي:

– العِيلة كلها مهندسين ودكاترة، وأنت...!

العائلة التي لا نراها إلا في المآتم؛ ففي الأفراح نُنسَى، تتذكَّر العائلة الآن! تتأمَّل رأسي باشمئزاز وهي تقول:

– بدماغك دي عمرك ما هتفلح.

t.me/qurssan

أنظر إلى رأسي في المرآة؛ حجمه طبيعي! لا أرى فيه شيئًا مختلفًا، لم يَعُد هناك وقت للثأر لرأسي، وإثبات أنَّني لست غبيًّا؛ تحتَّم عليَّ أن أدرس في المدرسة الثانوية الصناعية؛ فمجموعي لم يؤهلني لدخول الثانوي العام. لم تَصْمُتْ أمي طوال أشهر الصيف، كلَّما رأتني خارجًا من حجرتي متَّجهًا إلى الحمام ألقت الكلمات أمامي، الكلمات التي تشبه السهام، تَندب حظَّها العَثِر:

- ابن فلانة دخل طب، ابن عِلَّانة من الأوائل!

أتصنَّع الطَّرَش وأُغلِق الحجرة على نفسي؛ لا أخرج منها إلا للضرورة.

في السنة الأولى بالمدرسة الثانوية الصناعية بدأت أذاكر، خلعت المنظار عن عيني، فصِرْت أرى بوضوح، أرى كل شيء بحجمه الطبيعي، امرأة تمرُّ أمامي، ما المشكلة؟! لم أجد المذاكرة صعبة كما يقال، تحتاج فقط لقليل من التركيز، الأمر تافه!

عادت حجرتي إلى هيئتها الأولى، توقَّفَتْ عن الاهتزاز، لن أقول إنَّني اتَّخذت قرارات وألزمت نفسي بأمور محدَّدة، كل ما حدث لي حدث بمحض الصدفة، كأنَّني أعيش داخل دورة حياة كائن (الأنا) أتحوَّر من طَوْرٍ إلى آخر دون إرادة مِنِّي، كدورة حياة الصرصور التي درستها في الإعدادية، لماذا درست تطوُّر الصرصور وسقوط أجنحته؟! لم أذاكره على كل حال، وذلك أفضل! اكتشفته في الامتحان كما أكتشف نفسي الآن!

t.me/qurssan

أصبحت الأول على المدرسة في نهاية السنة الأولى. تفاجأت بالخبر، لم أكن أرتِّب للأمر. حين أخبرْتُ أمِّي لم تبتسم! رَبَتَتْ على ظهري وانصرفت، سألت نفسي هل لهذا معني؟!

لم أشعر بالسعادة وقتها إلا حين اختلفت نظرة زملائي لي، تحوَّلْتُ فجأة من النكرة الذي يجلس في نهاية الفصل إلى شخص مهم، لقَّبني أحدهم بعبقرينو! وانتشر الاسم بعد ذلك، قدِّمت لهم خدمات كأنْ أشرح لأحدهم مسألة صعبة، أو أساعد في بعض الواجبات المنزلية، أو أقوم بها كاملة مقابل صداقتهم التي تَقِيني شرَّهم، وتُجَنِّبُني العِراك، على أن يتم الأمر بصورة غير مباشرة؛ يطلب مِنِّي أحدهم خدمة معيَّنة بشرط أن يتأدَّب في الطلب، أتحجَّج بانشغالي، كأنَّ عدم موافقتي أمر ممكن، يترك لي مساحة للتفكير وكأنه ينتظر ردًّا غير محسوم، فأرد بدبلوماسية:

– أنا هعملك الواجب عشان أنت صاحبي بس.

وبذلك صِرْتُ صديقهم جميعًا متفاديًا الدخول في صراعات غير محسوبة، أو الوقوف مع مجموعة ضِدَّ أخرى، وهم اعتبروني حالة خاصة للجميع ولَسْتُ حِكْرًا على أحد، حيث نتبادل الأخوَّة والمنفعة معًا!

قدَّمَت لي الصدفة جميلًا آخر لن أنساه؛ حين استوقفني أحد طلاب المدرسة المجاورة لأن هيئتي لا تَرُوق له، وضع يده في جيبي وأخرج بعض الفَكَّة، وأخذ يتناوبني هو وشلته بجمل تأكل كرامتي:

t.me/qurssan

– ما تسترجل يا وله، مالك خِرِع كده ليه؟!

لا أعرف لماذا لم أسبُّهم؟! كنت فاشلًا في السباب، فاشلًا في صَدِّ الضربات أو توجيهها، بقيت واقفًا أنتظر! وقتها رآني أحد أصدقاء المنفعة وثار لرؤية صديقه الذي يحلُّ له المسائل في هذا الوضع، تحوَّل المشهد في لمح البصر إلى فئتين تقتتلان بشراسة عَبْرَ نداءات متتالية للأصدقاء، انسحبْتُ من بينهم عائدًا إلى البيت، ظَلَّ العراك يتناوب لأيام من أجل الثأر، ونسي الجميع أنَّني كنت شرارة البدء، بقي العراك بلا سبب وجيه، غير أن الفئتين لَيْسَا بأصدقاء!

منذ يومها صار الشارع الضيق بين المدرستين مخصَّصًا للمعارك الطلابية، إذا غضب أحد من الآخر قال له:

– لو راجل قابلني في الشارع!

وهو يقصد ذلك الشارع الضيق الذي لم أدخله ثانية.

ضحك سعيد وتحركَت الملاءة:

– وزعلان إنِّي كنت بقول عليك طري؟! طري قليلة عليك!

اشتعل غيظي لكنِّي هدَأْت حين تذكَّرت أنه أقوى بعد الموت! أنا بلا سكين، وهي معه، أنا أحتاج للهواء، وهو لا يحتاجه، كل ما يُخِيفُني لم يَعُد يَعْنِيه. دافعت عن نفسي موضحًا أنَّني لم أَعُدْ أترك شيئًا للصدفة، كل شيء صار يحدُث وفقًا لإرادتي،

t.me/qurssan

حافظتُ على المركز الأول طِيلَة الخمس سنوات، تمسَّكت باسم (عبقرينو) بلا منازع، لن أتخلَّى عن هيمنتي بسهولة -وإن كانت كاذبة- والأهم من ذلك أنَّني لم أَعُدْ أمشي وحدي.

في نهاية السنة الخامسة كان من حقِّي التقدم للالتحاق بالكليات، قُبِلت في كلية الهندسة جامعة المنصورة، يومها ضحكت أمي وسالت دموعها من الفرحة، فضحكَتُ، رقصتْ وسط خالاتي، فرقصتُ، وزَّعنا الشربات على جيران العمارة والشارع وسط مباركات بمزيد من النجاح، وتباهت أمي لأول مرة بابنها الوحيد أمام العائلة! فرحة أمي يومَها جعلت هذا اليوم -ربما- هو الأسعد في حياتي.

تحرَّك سعيد مرَّة أخرى، بَدَأَ يقهقه على ما أقوله، وبين قهقهاته المتوالية قفزَتْ قطة من أسفل الملاءة لتكشف عن وجه سعيد باهتًا كأنَّ دَمَهُ كلَّه سال من الثقب. لا بدَّ أنَّ أرض الشارع غرقت الآن! تراجعت للخلف بينما تحك القطة قدمي، تتحدَّاني بنظراتها وحركاتها الغَنِجَة، ترفع ذيلها فتكشف مسكنها الآمن وترقص، أتابعها وأشعر أن سعيدًا شبع من الموت، لم يَعُدْ يُخِيفني وجودُه والحلقات السوداء حول عينيه. لونه أبيض باهت كالموت، تَلَفَّتُ في ذُعْرٍ حين سمعت ضحكة صاخبة من خلفي، نظرت للقطة، وظننتها تضحك بصوت أنثوي حادٍّ:

– لا زلت أملك سِتَّ أرواح يا حبيبي القاتل، لن تقتلني بسهولة كما تظن!

t.me/qurssan

صرخت الفكرة في رأسي، وأدركت أنَّني قتلت سعيدًا بالخطإ، كأنْ تصدم عربةَ خضار أثناء مطاردتك لسيارة مسرعة. كان عليَّ التخلُّص من تلك القطة منذ البداية، ضحكت مرَّة أخرى بشدة، فأدرتُ ظهري لسعيد بعد أن اطمأَنَنْتُ إلى عجزه التام، لقد كنت أكلِّم القطة طوال هذا الوقت! رفعت بنطالي الذي يتزحزح كلَّما مسَّني توتر، نظرت للقطة، كانت هادئة، زوجته هي التي تضحك! ترتدي قميصًا أحمر اللون، تداعب القطة وسط نظرات تلتهم ذهولي. كلمات سعيد وسخريته لا تنطبق على هيئتها المتمايلة أمامي كأفعى أثارتها أنغام ناي حزين، لكنَّها تبقى أفعى جميلة رغم كل شيء، تضحك ثانية وهي تلف حولي وتعتصر جسدي المنكمش، كنت على وشك أن أخبرها أنَّني قتلته في الزقاق المظلم بين بنايتين، وأنَّ ذلك يعذِّبني، مستعد أن أجثو على أقدامها لتغفر لي، ما أنقذني أنها تكلَّمَت:

– أنت خايف من قطة يا راجل! دي قطة سعيد كان بيحبها زيِّي بالظبط!

– قطته؟!

– أنا ما بدخَّلش أي حد عليه، بس هُوَّ طُول عمره بيحبك، أصل سعيد -الله يرحمه- ماكانش بيحب الحزن أبدًا.

– إنتي مش لابسة أسود؟! مش زعلانة عليه؟!

– وألبس أسود ليه؟! هو أنا اللي مت كفالله الشر!

t.me/qurssan

التصقَتْ نظرتي بالقطة النائمة فوق ذراعها، بينما أحاول التملُّص من الحجرة بأقل خسائر ممكنة، لم أكن حاوِيًا يُخرِج من جيبه الحيَّات ويداعبهن، كل ما فعلتُه أنَّني استأذنت للانصراف، وبين كل خطوة وأخرى كانت تضحك ممَّا يزيد ارتباكي، تضحك فأرفع بنطالي، تضحك فأفرك جبيني، تضحك فأتعرَّق، تضحك فأعترف بصوت غير مسموع، تضحك فأبكي، تضحك ثم تضحك، ثم تفتح الباب لأعبر جسدها أولًا، ألتصق بها وأنا أمر في الحيِّز الضيق، أشم رائحة شهيَّتها، رغبتها الجامحة في رجل مثلي، رجل تهتز ركبتاه من القلق، داعبت رقبتي بأصابعها الطويلة؛ فابتللت من العرق والتوتر، نظرت إلى سعيد، كانت القطة قد تركت زوجته واتجهت نحوه، تلعق وجهه وتقترب من رقبته بمكر! وددْتُ أن أنبه الزوجة لما تفعله القطة، لكنَّني بلعت كلماتي مع بقايا ريقي قبل أن تلدغني بسمها في رقبتي وهي تقول بمكر:

– أنت عاجبني أوي! أقفل ياقة القميص عشان محدش ياخد باله.

تسمَّرْتُ أمامها للحظات غير مصدق ما يحدث، تحسَّسْتُ رقبتي وريقها المنطبع عليها، ثم انطلقت كطلقة جامحة من بين الجمع الذي بَدَا لي يرقص! لسعيد قطعة أرض كبيرة وهي الآن ملكٌ للورثة، ربما ذلك هو السبب وراء رقصهم غير المفهوم، أو يكون ذلك من أثر السم الذي يسري بدمي، سألت أمه التي تشجعهم فأخبرتني أن سعيدًا «ما كانش بيحب الحزن»، ارتفع

t.me/qurssan

صوت الطبل وأنا أهبط درجات السلم، خبطات الطبل تعلو داخل رأسي، أحسست رأسي طبلة كبيرة وهناك من يضرب فوقها بخفة، والراقصة أمامي تتمايل، تشبه في هيئتها زوجة سعيد، لم يقل لنا إنها راقصة!

أغلقتُ أزرار القميص جيِّدًا، وانفلت من بينهم كما يحق لملدوغ أن يفعل، سمها يتحرك ببطء نحو مخي مباشرة، ذرَّاته السوداء تندمج بلحمي وتذيب خلاياي، سألت نفسي أكثر من مرة محاولًا التأكد مما حدث! كيف لم تحزن زوجته؟! أشفقت عليه، وكلما زادت شفقتي عليه زادت رغبتي في قتل نفسي، تراكمت الأحداث فوق كتفي ندمًا، حتى كِدْت أسامحه على سخريته، حاولت تذكر ما كان يقوله، فلم أتذكر شيئًا! بَدَا لي أنَّني قتلته بلا سبب! مخي أصابه عطل في المنطقة التي تحوي ذكريات سعيد، جاهدت لتذكُّر ملامحه وهيئته الساخرة، طريقة جلسته على المقهى، أصدقائه، نغمة صوته الهازئة، حكايات أولاده في فترة المراهقة، لكن ذاكرتي نائمة، كل ما تبقي منه هو وجهه الباهت الأبيض، بَدَا لي أنَّني لم أكن أعرفه من قبل، وأنه لم يسخر مِنِّي ولو بكلمة، وأن أول لقاء بيننا لم يكن على المقهى، بل في الشارع المظلم، فمعرفتي به بدأت حين صار جثة حية، وبدلًا من أن يلقي على سمعي التحية، حدجني بسؤاله السخيف «أومَّال فالح في إيه؟!» لكنِّي أخطأت في استقباله، تقيَّأت على وجهه، لديه كل الحق. إنَّني قاتله، كيف سيلقي التحية على قاتله ببساطة؟! العلاقات في العادة لا تبدأ بعد الموت، فلا بُدَّ أنه يكره

t.me/qurssan

ذلك، أنا أيضًا لم أحتمل هيئته الباهتة الزرقاء، وتخيلته يصفعني على وجهي تأديبًا لي على سوء تصرفي، ما الذي دفعني إلى هذا كله؟! تمنيت لو تركته يصطدم بي ويقول معذرة! ثم ينصرف دون أن ينتبه، تأخذه الأزقة عنوة إلى امرأته القطة التي ترتدي ثوبًا أحمر فاقعًا، ولا تعرف الحزن! سيخبرها أن الشوارع مكتظة بمياه الصرف. وسينسى وهي تخلع عنه ثيابه أنه الْتَقَى بأحدهم!

t.me/qurssan

(4)

سم قاتل.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

في حجرتي المغلقة ارتفع صَدَى آلام جسدي عاليًا، الشمس تستريح فوق رأسي، ومخي يذوب، كيف أوقف ذوبانه؟! حرارتي ارتفعت وسط آلاف السيناريوهات التي تدور على شاشة (نفوخي) الموجوع، خمَّنت أن تلك الأعراض المفاجئة ستنتهي إذا أرحت جسدي قليلًا داخل سريري، نظرت إلى العلامة الحمراء في رقبتي، والتي بدأت تتلوَّن بالأزرق، وضعت قطعة ثلج عليها وارتديت الدولاب بأكمله وأنا أجرِّب أوضاعًا مختلفة لجسدي، أُدِير رقبتي في جميع الاتجاهات كي أتأكد أن لدغتها اختفت تحت طبقات الملابس، لم أفتح الباب لزوجتي التي عادت من العزاء، فسُمُّ زوجة سعيد يشل حركتي تحت جبل من القماش.

تذكرت شغفها وهي تقبِّلني، وسمعت صوتها في رأسي مرَّات عديدة: «أنت عاجبني أوي»! لم تقل لي نُهَى ذلك من قبل، لم تنظر لي بهذا الشغف، أشعر دومًا أنَّني لا أعجبها، تنظر إليَّ كأن بي خطأ، خطأ لا يمكن إصلاحه!

في الصباح صرخ جسدي من الألم، اقتحموا الحجرة كعادتهم وسألوا: لماذا؟! كيف؟! متى؟! أين؟! من؟! قلت زوجة سعيد، صفرت حناجرهم بكلمات كثيرة عن حزن زوجته، وصدمتها، و ...، و ...، و....

لم تجد كلماتهم طريقًا إلى مخي، وقعت في غيبوبة بعيون مفتوحة، لكنها لا ترى، عتمة وخيالات، يتحركون، يتحدثون، يصرخون بي، مخي مشغول عن الرد، يتحول من حالة لأخرى،

t.me/qurssan

أسمع صوت مخي «السائل» داخل جمجمتي كقطعة ثلج متهالكة تحت شمس أغسطس، سُمُّها يتسكع في دمي، يذيب خلايا مخي بحامضه القاتل، مَرَرْتُ بنوبات صداع عنيفة، تقيَّأت من شدة الألم، والأضواء تضرب عيني بقوة فلا أرى، لم أشعر بنفسي وأنا أسقط حين هَمَمْتُ من سريري واقفًا، سمعوا ارتطام رأسي بالتسريحة، ورأوا نافورة الدم التي انفجرت من أنفي، أسمع صرخاتهم وهم يحاولون رفعي عن الأرض، محاولاتهم لإيقاف النزيف بالضغط على أنفي؛ فأبلعه مُرًّا، وأبلع معه مخي السائل! ينسكب مع دمي ويسيل، هل سأموت؟! هل كانت تنتقم لزوجها؟! أم أنها تريد تعذيبي بأن أبقى طوال حياتي بمخ غير قادر على العمل؟! وأنفٍ ينزف!

رقدت في السرير أعاني آلامًا لم أعهدها من قبل، هل هذه هي أعراض القتل؟! تصيب القاتل بعد الانتهاء من جريمته؟! هل مَسَّني مرض حين اقتربت من سعيد ميتًا؟! تدور النجفة فوق رأسي دورات عديدة، وتعلو موسيقى صاخبة بجوار أذنيَّ، أتوه في عالم غريب يسحبني نحوه كطفل يتعلم أُولَى خطواته، تحاملت على نفسي حتى وصلت عيادة الطبيب التي تقع في أول الشارع. أمي معي بينما مكثت نُهَى مع طفلتنا، سألت نفسي هل هناك فرصة لإبطال مفعول السُّمِّ؟! هل سأتمكن من إنقاذ مخي من التلاشي؟! كلما مَرَّ الوقت صارت حالتي مستعصية.

هيئتي المضطربة، ومحاولتي وصف ما يحدث للممرضة التي

t.me/qurssan

تلوك شفتيها والعلكة، كانت كافية لتعاطف المرضي معي؛ حيث أفسحوا لي الطريق، وتخلوا عن أدوارهم من أجلي، بداخلي طاقة كافية لإزاحتهم بضربة يد كأحد أبطال الأفلام الهندية الشهيرة، لم يتخلوا عن أدوارهم رحمة بي، بل خوفًا مِنِّي، عليهم أن يذوقوا قليلًا من الخوف، ففي ذلك سعادة كبيرة لي، لكنها انطفأت قبل أن تشرق داخلي!

ظللتُ أدور وأنا أُطبِق على رأسي بكلتا يَدَيَّ محاولًا ثنيه عن الذوبان! الطبيب متجهم وبارد غير عابئ بقطعة الثلج التي تفور، كلماتي تخرج ملتصقة ببعضها البعض وغير مفهومة أتعجب مما يحدث! أسمعها في رأسي واضحة تمامًا، وما إن تخرج إلى النور حتى تتلكأ وتنبعج وتتحوَّر إلى كلمات أخرى، آلاف الكلمات تندفع مرة واحدة من الكتلة التي تذوب، كشلال صغير انبثق من شفتي، وأنا وسط مياهه أغرق! لم أفهم كلماتي التي تندفع قسرًا، وبينما كانت عيناي تتقفيان الأثر في وسط تلك الصورة الضبابية، ضحك الطبيب بشدة:

- أنت بتقول إيه؟! أنت محتاج دكتور نفسي يفتح لك دماغك دي ويحطها في الديب فريز! لكن أنا راجل بتاع باطنة.

استمرت ضحكات الطبيب، ومحاولات تهدئة أمي وسط العتمة القاتمة، هل ضربته كما يفعل شاروخان دوما في أفلامه؟! لماذا لا يصدقني؟! مخي يذوب، لا أشعر بأطرافي، لا أشعر بشيء!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(5)

داخل حدود العقل.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

غبتُ داخل سريري، اعتدتُ الحفرة التي صارت أكثر عمقًا، أخبرَهم الطبيب بأشياء لم أفهمها، يقولون إنَّني مريض، وأحتاج إلى الكثير من الأدوية لأفيق، أعلم أنَّني مريض، ليس هناك أصعب من ألم ذوبان مخك، أكاد أزعم أنه المرض الأشد على الإطلاق، لكنه -للأسف- غير معروف لدى أغلبية الناس، والأطباء -أيضًا- يجهلونه، فلن تجد أحدًا يواسيك، لن تحط يد على ظهرك وهي تدعو لك بالشفاء، لن ترى الشفقة في عيونهم، وبالتالي لن تكون أمامك فرصة للثورة على شفقتهم أو رفضها، ليتني مرضت بالسرطان أو مرض من هذا القبيل -يعرفونه على الأقل- فالجحيم أن تصبح مريضًا وغير مرئي!

ظللت عالقًا في عالم ضبابي؛ حيث يبدو كل شيء حولي هشًّا، أحسست أن يدي ستنكسر إذا ما اتكأت عليها لِأَهِمَّ من رقدتي، وقد تنعوج أقدامي وأنا أحاول المشي في أنحاء الشقة، كنت زجاجيًّا لا أحتمل ضربة حجر؛ لذا اختبأت داخل سريري مستسلمًا، النوم يطل على نفسي المرهقة ويسمح لمخي بالذوبان، حتى الأدوية التي وصفها الطبيب لا تُحَجِّم ذوبانه، أرى مَن حولي كظلال مموَّهة لأشخاص أعرفها، أمي تبكي طوال الوقت منذ تركني الطبيب، وحين أنهرها تفرك في كرسيها وتنصرف، وأحيانًا أسمعها تسبُّني، فيسبها عقلي دون أن تتحرك شفتي، حالتي الصحية تتدهور بسرعة فائقة، صرت قطعة قماش بالية لا تقوَى على الهواء من حولها!

t.me/qurssan

شبح زوجتي ظل يحوم حولي، وحين يبدو عليَّ الغضب تكتفي بفتح الباب وإلقاء نظرة سريعة، أسمعها داخل عالمي التائه تشتكي، تشتكي في صمت، تشتكي في وجه أمي، تشتكي في وجهي، تشتكي في التليفون، وحين تنسكب شكواها على الأرض بلا فائدة تخبط رأسها بكلتا يديها وتصرخ، وأحيانًا ما (ترزعها) في الحائط بخبطات متتالية! أخبرتها أن حالتها تشبه حالات الهياج التي تصيب المرضي النفسيين؛ ضحكت حتى انقطعت أنفاسها، وسعلت حتى ظننت أنها ستموت من الضحك:

– أنت اللي بتقول كده!

كِدْتُ أخبرها أن هذه الضحكات هستيرية أيضًا لكنِّي صَمَتُّ.

لا أدري من أين تهبط مئات الأفكار إلى جسدي الواهن، تستغل عجزي الكامل وهشاشتي، تتحرك على جلدي وتغوص في الحفرة، أتوحَّد معها، مع آلاف المشاهد التي تتحرك أمام عيني، مشاهد عشتها، ومشاهد أخرى لم أعشها، أشارك أبطالها الحديث، ومرات كثيرة أكتفي بمراقبتهم من بعيد كَرَاوٍ عليم بكل شيء ولا يتوقف عن التفكير، أرى أمي وزوجتي يتشاجران حول ابنتي الرضيعة، لم أكن موجودًا ومع ذلك لم أَسْلَمْ من ألسنتهم! يذكرونني بالسوء في غيابي! أرى صاحب محل الأثاث يتحرش بالفتيات العاملات، رغم أنَّني لم أتعامل معه من قبل سوى في أمور البيع والشراء، ولم أَرَ منه شيئًا يدل على فعله الخسيس، ورأيت إحداهن تحمل سكينًا يشبه سِكِّيني، تبدو

t.me/qurssan

قلقة، تتلفَّت يَمنة ويَسرة، وتستسلم له دون أن تغرس سكينها في لحمه، الغريب أنها بعد أن انتهت اقتربت من المرآة وبصقت، هل بصقت على وجهي؛ لأنَّني أتفرج من سريري، أتأمل جسدها كما أشاهد أفلام البورنو!

كيف أَتَوا إليَّ دون أن أسعى لإيجادهم؟! المشاهد تتداعى وتتداخل، مشاهد بالأبيض والأسود وأخرى ملوَّنة، أرى زوجتي تلوي شفتيها وهي تتذكر خطوبتنا مع صديقتها، صديقتها تجلس جواري على السرير لا يفصل بيني وبينها سوى الغبار! أراها ولا تراني، كسحابة مثقلة بالغيوم، لن تشعر بوجودها إلا حين تمطر، تذكَّرت حياتي في المدينة الجامعية، كنت أسمع زملاء الدور أثناء غيابهم وهم يتحدثون عني، كأنهم هنا، أو كأنَّني هناك معهم دون أن يحسوا وجودي، أشعر أن ذوبان مخي وخلاياه جعلني أتسع، يتسرب مخي من تحت عقب الباب ويتشكل خارج إطاره البشري، يتجمد على هيئة أخرى يريدها، هيئة تجعله يرى آلاف المشاهد التي تتوالى من أزمنة مختلفة، يبحث في دهاليز ذاكرتي عن نفق غير مظلم، ينظر بعين مختلفة، عين عليمة ومطلعة، يطلع على مشاهد من حياة الآخرين دون أن أكون جزءًا منها، يراها كما تراها مرآة مصقولة وناعمة، مرآة تقع في منتصف الحجرة تشهد الحقيقة وتُعرِّيها، هناك أشعر أن ذوباني تجمَّد وسط ذرات الرمل الساخنة، طبقات فوق طبقات تلمع تحت أشعة الشمس لتكشف الغبار العالق، مرآة لم يستغرق تصنيعها سوى ساعات قليلة تحتضن ذرات مخي، الآن عرفت السبب ووجدت تفسيرًا

t.me/qurssan

لما حدث، مخي يذوب منذ البداية وأنا في المدينة الجامعية، لم تكن تلك اللدغة سوى صافرة الانتباه لما يحدث، كنت أسمع زملاء الدور؛ لأنَّني ببساطة كنت هنا وهناك، أتشكَّل كالصلصال، يتحرك مخي «السائل»، ويظل جسدي حبيس الغرف المغلقة، تندمج خلايا مخي الحية مع خلايا تفتقد الروح، فيتبادلان المنفعة، أعطيهم جزءًا من روحي ويعطونني المعرفة، فتصبح كل الأشياء حولي حية، تخبرني بكل ما يدور في غيابي الذي صار في الآونة الأخيرة حضورًا طاغيًا!

صرخت كل خلية بجسدي من الفرح، واتسعت غرفتي لتطل على العالم، أو أن العالم صار يطل على سريري كل صباح، يلقي التحية قبل أن يستأذن للانصراف، ويحملني معه فوق جناحه! ما أعظم أن تكون عالميًّا متداخلًا! أن تكون كل شيء، ويصبح كل شيء جزءًا منك، استطعت بحكمة أن أحوِّل مرضي لمعجزة! و روحي لأرواح عدة!

تقف زوجتي أمام المرآة تكب غضبها عليَّ دون أن تتجمَّل، تبعد أدوات المكياج بعيدًا، تعلم أن المرآة لن تخبر بشيء، فهي خرساء صامتة، لكنها لن تتصور أبدًا أن المرآة تحدثني، وتخبرني بكل ما يحدث في غيابي، أن المرآة المصقولة صارت بعملية معقدة أنا!

– يا مرايتي، جه الوقت إنك تحكي!

– اخرس!

t.me/qurssan

(6)

الحكاية كما ينبغي لِمرْآةٍ أن تحكيها

t.me/qurssan

t.me/qurssan

الحكاية تبدأ من كوني لا أحب الدراما، أكرهها، والغريب في الأمر أن ما يحبه المرء لا يدركه، فالدراما الحياتية لا تحدث إلا أمام عيني، ابتداءً من رغبة الكثيرين في البكاء أمامي، وانتهاءً بهذا المخبول الذي يريدني أن أحكي! وتساءلت أكثر من مرة: ما الجديد الذي يرصدونه في عيونهم المنتفخة المتورمة بالدمع؟! وما الذي سيفعله هذا الزوج بكلامي؟! لم أجد إجابة غير أنَّني مغناطيس! ربما؛ لأنَّني أقف مستسلمة ويحتاج المرء بين الحين والآخر لهذا الصديق المستسلم، لن أخبرهم كم أخطَؤُوا أو أصابوا، أو أن الاثنين سِيَّان أمامي.

تقول الجدات إن المرآة تعرف أبعد مما تراه، وحين تنطق لا تقول إلا صدقًا؛ لذلك قام الكثيرون بتغطية وجهي بقطعة قماش في الليل كي لا أرى، لكن ذلك يوقظ فضولي لأكشف الغطاء عن مآسيهم المضحكة. في الليل ينقشع الضوء الذي يحجب الرؤية ويبقي لي ضوء القمر الفضي، كم أحب الفضة! فأشعتها تمنحني القدرة على التلوُّن والانعكاس. لم أَرَ الشيطان يومًا، لكنِّي أعرفه، ولم أَنْجُ أيضًا من محاولة شيطنتي.

الجدات تقول: «لا تنظر للمرآة ليلًا»، وأحيانًا: «لا تنظر للمرآة كثيرًا»، وغالبًا: «إنك لا ترى نفسك داخل المرآة، بل ترى شيطانك»، أتساءل: ما الفرق؟! وأضحك! ورغم جهلي الحقيقي بالعالم السفلي وما يحويه من جن وعفاريت؛ فإن الجدات دومًا صادقات والمرآة كاذبة، ومن هنا تبدأ الدراما: « مسه جن لأنه كان يحدث نفسه أمام المرآة»، وإذا افترضت أن ذلك يحدث؛ فإنَّني أجزم أنه يحدث بنسبة لا تصل إلى واحد بالمئة، وهي

t.me/qurssan

النسبة المقبولة عالميًّا؛ فالجميع في النهاية يلقي ما في جوفه أمامي دون قلق، وإذا كان تسعة وتسعون بالمئة منهم لا يصابون بوعكة عفريتية؛ فيمكننا بضمير مستريح أن نهمل عن عمد الواحد بالمئة، ولا نعطيه الفرصة في أن ينغِّص علينا تلك الألفة التي لا تتكرَّر إلَّا بين الفرد ومرآته. ومن الممكن إدراج تلك الفئة ضمن الفئات التي تموت في حوادث الطرق يوميًّا، أو أولئك الذين يموتون جوعًا، بينما يُلقِي باقِي سكان العالم ما تبقَّي من طعامهم في القمامة. ستنبت الأزهار في الربيع بينما يتعايش الواحد بالمئة مع عفاريته في هدوء وسلام، ولن يتغير شيء، ما زلت أقبع كأية مرآة حزينة في منتصف حجرة نوم في أكثر البيوت دراما على الإطلاق!

رجل وسيم، وامرأة جميلة، وسيدة عجوز، وطفلة، هم أصحاب البيت الذي أسكنه، ثم تحوَّلت معرفتي بهم إلى زوج وزوجة وأم الزوج وابنة. مللت الوصف، مر أمام عيني مئات الوجوه، ابتداء من لحظة ولادتي؛ حيث تلقَّفني أحد عمال المصنع يتفحَّص جسدي ليتأكد من خلوه من الشوائب، ويومئ «جيدة» بنظرة راضية نسبيًّا، جيدة فقط دون أي انبهار بإمكانياتي. غضبت، وكان ذلك أول غضب يدخل قلبي- إن كان لي قلب- علمت بعدما انطفأ الغضب أن من السذاجة أن أظن أنَّني استثناء! أنا عادية جدًّا، وربما أقل! وحين تملك القدرة على تقبُّل مثل ذلك الأمر بسخرية؛ يمكنك بعدها تقبُّل أي شيء، ورغم أن هذا العامل كان أول وجهٍ أتفحَّصه بعناية، لكنَّني لم أستغرب هيئته الإنسانية، أعلمها في أعمق ذرَّاتي وأقدمها، في تلك المنطقة الداكنة التي لم يصل إليها أحد، هل كنت حية وقت اختلاط ذَرَّاتي

t.me/qurssan

وانصهارها على يد أحد الأفران الضخمة؟! هل سمعتهم وهم يشكون ضعف الحال، قِلَّة المرتبات، فَقْدَ الأحبة، سوء الحظ؟! هل رأيت غمزاتهم وهم يصفون ليلة حب؟ وسمعت ضحكاتهم على نكتة ساذجة؟! ورأيتهم يبصقون، ويأكلون، ويلعنون المدير، ويلعقون حذاءه؟! هل رأيت ذَرَّات عرقهم أمام النار المشتعلة في جسدي؟! والأهم هل تألمت وقتها؟! كما ينبغي لأضحك عليهم بقية عمري! لحظةً واحدةً! ما الذي أقوله؟! لماذا أُسرِف في استخدام مفرداتهم؟! ماذا أعرف عن الألم لأتحدث عنه بأريحيَّة؟! تلك الكلمة التي يقولونها كثيرًا بداعٍ وبغير، لماذا صِرْتُ إنسانية إلى هذا الحد الخطير؟! هل حدث ذلك من كثرة التصاقي بهم؟! صِرْتُ أفكِّرُ كشخص مختل!

طوال الوقت أستكشف شعورهم واحدًا تلو الآخر، لكنِّي أستكشفه استكشاف الخبير العالم، لم يَعُد شيء يثير اهتمامي؛ منذ جلست في حجرة نوم أحفظها عن ظهر قلب؛ انحصر داخلها عالمي كله، ولا يهمني إن كان هذا العالم الصغير داخل بيت مغلق أو محل أثاث يتفقَّده الزبائن طوال الوقت، يلمسون الخشب بأيديهم، وما إن ينتهوا حتى يتأملوا وجوههم في المرآة. لست داخل حِسْبَة الشراء على كل حال، فشكل الحجرة ونوعية الخشب أهم بكثير من كوني عادية للغاية، ولأن الحجرة كانت عادية مثلي، رأيت الكثير من الوجوه، وإن كان عالمي لن يتغيَّر مهما حدث؛ فلا يَفْرِق معي أنَّني انتقلت إلى أحد البيوت حين أَقْدَمَ الزوج على شراء الحجرة، كل ما فعله أنه خلَّصني من صاحب المحل الخسيس!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(7)

مشاهد متفرقة رَأَتْها المرآة خلسة وأخبرتنا:

t.me/qurssan

t.me/qurssan

مشهد رقم (3):

يُفتَح الستار على حجرة نوم مَقِيتَة، والحقيقة أنه مفتوح دومًا؛ لأنَّني لا أتحرك، يهيمون حولي كالذباب دون أن يعلموا أنهم (فرجتي) الوحيدة، ليس لي (شغلة) أخرى.

تجلس الزوجة على السرير البارد تهدهد طفلتها التي تمص حليبها كأنه آخر زادها، تلفظ ثدي أمها من فمها وتصرخ بحرقة، ثم تعاود القرص عليه بقوة، ما لها لا تشبع؟! لاحظت لأول مرة أن أطفال بني آدم لا يعرفون الشبع! منذ ثلاث ساعات وهي تنتقل من ثدي لآخر، ومنذ ساعتين والأم تتململ، ثلاث ساعات على الوضعية نفسها، تتعرَّق الطفلة وتبرز أوردتها من المجهود، وتتعرق الأم، فالحجرة تطبق على أنفاسها، كما تطبق على أنفاسي أيضًا إن كانت لي أنفاس! منذ ولادتي وأنا حبيسة الحجرة كالطفلة، لكن الطفلة لا تعلم شيئًا عن العالم، كل ما تعرفه هو: كيف ترضع؟ ومتى تبكي؟ لن تشعر بالحبس الذي تشعر به أمها، سيقولون لها: لا تخرجي حتى لا تصاب ابنتك بنزلة برد، ارتاحي في سريرك حتى لا يتأذَّى جرحك القيصري.

والحجرة باتت تختنق برائحة لبن بدأ يتخثَّر، وصوت صراخ لا يتوقف، لا أظن أن الرضاعة معقَّدة بهذا الشكل، لكنهم يحبون الدراما! ليس من حقي التدخل في الأمر، أنا فقط أرصد ما يحدث كمعلق رياضي، لكن للأسف بلا هدف واحد.

t.me/qurssan

ألقت الأم بالطفلة التي لا تشبع على السرير، وانطلقت نحو الحمام، لم أَرَ ما فعلته هناك، لكن بَدَا لي من هيئتها أنها كانت تحبس بولها، أخبرها الطبيب أن الرضاعة لن تستغرق أكثر من نصف ساعة، فَلْيَأْتِ لِيَرَى!

عندما عادت رأيت ثدييها يُعْتَصَرَان بالدم وعيناها تبكيان، وقفت أمامي تتبين حالتها المزرية، عيناها متورمتان من كثرة البكاء، ومطفأتان من قلة النوم، وفزعتان من القلق والجهل، تتعامل مع كائن لا تعرف (كتالوجه)، وليس لديها أحد يخبرها، الطبيب يتحدث عن عالم جميل غير ملموس، زوجها غارق طوال الوقت في نفسه، تلقي عليه التحية فلا يردَّها، يتمتم بحوار داخلي، حوار مع قطة وجدها، يقول إنها لِسعيد السائق، وفي الأوقات التي يخرج من نفسه ويقرر التحدث إليها يبدو الحوار مُقْتَطَعًا، كأن هناك من قَصَّ منه ليبدو غامضًا. رفعت ثيابها لتكشف بطنها التي ترهَّلت من أثر الحمل والولادة، تمتد بها خطوط سوداء متشابكة، لونها الأسود يجعلها بارزة أكثر على جلدها الأبيض، دهنت الكريم الذي وصفه الطبيب، آثار الحمل ستختفي مع الوقت، تُرَدِّدُ كلماته المُطَمْئِنَة ولا تطمئن، تقتحم حماتها الحجرة لتلتقط الرضيعة التي تصرخ منذ زمن، وقبل أن تخرج تلقي نظرة قرف على زوجة ابنها!

لم يَعُد في الحجرة غيرنا، تبكي بحرقة وتصرخ في وجهي كأنَّني السبب فيما حدث:

t.me/qurssan

– أنا أم وحشة أوي.

– حتى الدراما مش فالحين فيها.

سئمت من تفاهة ما يحدث، المشكلة يمكن حلَّها برضعة صناعية سترضعها الطفلة وتنام، وبجوارها أمها المتعبة.

يصلني صراخ الطفلة المسكينة من الخارج، لكنها ليست بريئة تمامًا، إنها تتعمَّد مضايقة الأم، تبكي دائمًا بلا سبب واضح، وتختلف التفاسير لسبب البكاء؛ مَرَّةً مغص، جوع، زهق، حر، غيار! وإذا ما اكتشفت الأم السبب وعالجته ظهر سبب آخر! هي فقط تتمنَّي أن ترضعها فتنام، كما تشاهد في التلفزيون، وكما تخبرها الجدات: «العيل لو شبع هينام»، لكن ما يحدث منذ الولادة لا يُحتَمَل.

تلف الجدة بالطفلة في أنحاء الشقة، ثم تلقي بها في حجر الأم ثانيةً، لفة واحدة استغرقت دقيقتين لن تساعد في شيء، مجرَّد أداء واجب بحكم الحضور.

– استهدي بالله ورضعيها.

– صدري خلاص هيموِّتني، مش هستحمل تمسكه تاني.

– ما أنتِ لو بتاكلي عدل كانت البت شبعت.

– ...!

t.me/qurssan

طالت فترة الصمت فأردت أن أقطعه، استطردت «الولية القرشانة»:

– أومال أنتِ فاكرة إيه؟! الأمومة بالساهل؟!

– هو فين ابنك؟!

– أنتِ فاكرة أنك هترتاحي؟! عمرك ما هترتاحي! كنت أنا ارتحت! مش عايزة أعرف هو فين!

تَرْبِتُ على الطفلة، وتُقَدِّم لها ثديها وجبة شهية وهي تصرخ من الألم!

t.me/qurssan

مشهد رقم (5):

بعد محاولات عِدَّة لربط الأحداث، والتنصُّت على محادثات الهاتف؛ أدركت أن حبها دخل من باب الشفقة، لكنه خرج من باب آخر حين نفد صبرها، وتحولت شفقتها بالقوة نفسها إلى غضب، غضب يعتصر جسدها الهزيل. تسأل نفسها: لماذا لم تهرب في الوقت المناسب قبل أن تتورَّط في طفلة تسألها عن أبيها؟! أشفقت عليه حين بكي وأخبرها أنه يريد طفلة تشبهها على شاكلة المسلسلات الهندية! وأشفقت عليه حين وعدها بأن يتناول الدواء ولم يفعل! اكتشفت حقيقة الأمر متأخرًا، أخبرها في فترة الخطوبة أن أمه تكرهه، وترفض أن تصنع له الطعام، أو أن تغسل ثيابه، تأثرت حين أمسك يدها وقال:

– أنا حاسس إن ربنا هيعوضني عن كل اللي فات بيكي.

صوته المضطرب وهو يصف لها حجم معاناته ما زال يرن في أذنيها، حديثه عن أمه، عن خوفه منها، خوفه عليها، عن صعوبة الهندسة، ومضايقات الطلبة، وتعنُّت الأساتذة، بَدَا طفلًا له رجولة خاصة، طفلًا يحتاج للمساعدة:

– أنا عايز ست لو رَجَّعْت عليها ما تقرفش!

أعجبت بطفولته وعقله، وكلما أشفقت عليه ودت لو

t.me/qurssan

احتضنته كأُمٍّ، الأم التي لا يصيبها قرف من أطفالها الصغار، ما كان ينغِّص عليها فترة الخطوبة هو بعض التصرفات الغريبة التي لم تجد لها مبررًا؛ ففي بعض الأوقات لا يتكلم تقريبًا ويبدو واجمًا، إذا جلسا بمكان وبدأ يزدحم يهمُّ سريعًا بالانصراف، وإذا ما اعترضت تحجَّج برغبته في الهدوء، أو أنه تذكَّر مكانًا أفضل، وإذا ما رفضَتْ بشدة؛ أخبرها أنه أعدَّ لها مفاجأة! عرفت أنه لا يتحمل وجود هذا الكم من البشر حوله، جرأته قليلًا على التصرف بحرية في الشارع -أو هكذا ظنَّت- ورغم ذلك لم يكن يأكل الأيس كريم على الكورنيش مهما توسَّلَتْ إليه! لا بدَّ من تناوله داخل أحد الكافيهات، لا يضحك بصوت مرتفع، لا يعلو صوته في المواصلات العامة ولو لمرة واحدة، وأحيانًا ما يرفض التحدث تمامًا في التاكسي، ترى الأحبة يمسك كل منهم يد الآخر، بينما خطيبها صامت؛ لأنه لا يريد لأحد أن يسمع كلامهما! كل شيء كان يقوم به بحساب دقيق، يسير على قضبان قطار لا ينحرف.

لم تكن سعيدة، ولم تكن حزينة، تمر فترة الخطوبة بين بين، لكنها أيضًا لم تكرهه، فكرت في فسخ هذا الرباط حين أخبرها أنه لا يريد شراء ملابس جديدة، ملابسه قديمة، البنطلون واسع، وقد يسقط منه إذا اضطر للجري، والقمصان التي يرتديها باهتة، يبدو أكبر من سِنِّه بهذه الملابس العجيبة، حُجَّته لرفض شراء ملابس أخرى أنها ستتزوجه هو لا ملابسه، وأنها قَبِلَتْ به على هيئته التي تعرفها، فلماذا تتذمَّر الآن؟! حين وضعت له العقدة

t.me/qurssan

في المنشار وبَدَا من نبرتها أنه فاض بها؛ استجاب لرغبتها، عرفت من أول محل ملابس يدخلانه السبب الحقيقي؛ فهو لا يحب التعامل مع الباعة، لا يطيق تدخُّلاتهم، تعليقاتهم على مقاس الملابس وهيئتها، سؤالهم عن رغبته في الشراء، تطفُّلاتهم حول ما يليق وما لا يليق، مضايقاتهم من طريقة تعامله، من عدم رَدِّه عليهم، كل هذا جعلهم يتحفَّزون ضده، ثم يقولون جملتهم الشهيرة التي تُستَخدَم للتوبيخ: «أنت مش جاي تشتري!».

لماذا أتمَّتْ الزواج؟! في كل مرة أخبرته أنها لن تُكمِل الطريق معه، سمعت صوته مضطربًا، حانيًا، مرعوبًا، في كل مرة تتراجع، تقنع نفسها أن بقاءها حب، حب من نوع خاص، حتى تلك اللحظة التي وضعت بصمتها بجوار بصمته على عقد الزواج، أدركت أن الوقت تأخر للتراجع فسالت دموعها، الدموع التي قالوا عنها دموع الفرح!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(8)

حياة داخل المرآة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

بعد أيام استجمعت قوتي، استطاع الزجاج بداخلي أن يصلب عودي، صرت ممتنًّا لشعوري الجديد كمرآة كاشفة، وغاضبًا مما كشفته، هذا الخليط العجيب يعصف بكياني الممزَّق بين حقيقتين؛ الأولى أنَّني لا أحتاج للعلاج، الآلامُ الناتجة من ذوبان مخي وتشكُّله مقدور عليها، يمكنني تناول المسكنات التي تريحني قليلًا، أمَّا الحقيقة الثانية فهي أن قصتي غريبة -أنا أدرك ذلك- صعبة التصديق، ألتمس بعض العذر لهم، ما أقوله يبدو محض خيال، الأسوأ أن الأطباء لا يصدقونني، لا أحد يهتم لأمري، حتى زوجتي التي أحبها تكرهني، أخبرتني المرآة بالحقيقة، رأيتها تتمنى الخلاص، لولا الطفلة لفعلت منذ زمن، الطفلة مربط الفرس، لا أستبعد أن تقتلها ليصبح الطريق خاليًا للهرب، الهرب الذي لم يحدث في الوقت المناسب!

– يا مرايتي، يا مرايتي، انطقي!

وقفت أمام المرآة، صرت باهتًا تدور حول عينيَّ كدمتان، كدمة زرقاء، وأخرى بنفسجية، هل متُّ؟! طالت ذقني ولم تجد من يُهَذِّبها! لماذا صرت أشبه سعيدًا إلى تلك الدرجة؟! اقتربت أكثر من المرآة سامحًا لأنفاسي بالانطباع على سطحها العاكس، مسحت ذرَّات البخار فبَدَا وجه سعيد واضحًا ومفزعًا، تمامًا كما أراه في كوابيسي التي لا تنتهي، أتاني صوته غاضبًا كريهًا:

– قتلتني ليه؟!

t.me/qurssan

ورأيته يسير خلفي في الشارع المظلم الذي انحفر في المرآة المسكينة، عيناه ممتلئتان بالغِلِّ والغضب، هل علم أن زوجته قالت لي: «أنت عاجبني أوي»؟! ربما! صار في مواجهتي تمامًا والزقاق خالٍ من الرفقاء ومخنوق بين بنايتين، كان عليَّ الدفاع عن نفسي، هم الذين يشنون الحرب ثم يشتكون حين يمسهم سوء، لا أحتمل ما يفعله معي أمثال سعيد، تذكَّرت أفعالهم ووددْتُ لو قتلته ثانية، أمثالك يا سعيد يخربون حياة غيرهم وهم يبتسمون، لماذا كنتُ مرغمًا على سماع كلماتهم التي تدور حولي؟!

مئات الكلمات، الجمل، الوشوشات، يبدو منزويًا، انطوائيًّا، غبيًّا؛ فهو لم يدرس الثانوية العامة، لم يكن متفوقًا، ما الذي أتى به من القاهرة؟!

يضحكون، يأتيني ضحكهم، همزاتهم، حركات أعينهم بشكل مجسم ثلاثي الأبعاد، (وش) يطبق على رأسي وأذنيَّ، أحاول إسكاته فيعاندني ويعاندونني برفع أصواتهم:

– بتضحكوا على إيه؟!

– ماله ده؟!

أتجاهل حماقتي لأصبح فالحًا، لكنَّ شيئًا ما ينغِّصُ عليَّ هذا النجاح، لماذا أخضع لكل ما هو إنساني بتلك الطريقة، وأُصبِح مع الوقت مستأنسًا وخاضعًا لمعاييرهم؟! للنجاح من وجهة

t.me/qurssan

نظرهم، لاختباراتهم القميئة، وأحكامهم التي يصدرونها نحوي، فَلَاحهم لا أريده، ما الذي أريده منهم؟! لا شيء!

لماذا أُحَدِّثه عن ذلك كله؟! أُطْلِعه على أسراري كأنه صديقي، أو أن ما حدث في الزقاق المظلم جعلنا نتجاوز كل الأسرار، نتعرَّى دون قلق، كأن ثقبه اخترقني أنا، فصرت أنسكب ككوب ماء بلا لون أو طعم أو رائحة!

الجزء القادم أكرهه، لكنه ضروري يا صديقي لتحترم جريمتي، قتلتك لأسباب وجيهة، أمثالك دمَّروا حياتي!

في المدينة الجامعية أبقيت باب حجرتي مغلقًا، لا أخرج منها إلا حين أتأكد من عدم وجودهم، حيث يعم الصمت في الخارج، لكنه لا يعم داخل رأسي، لا يهنأ رأسي الصغير بالهدوء حتى أثناء النوم، تزحف أصواتهم إليَّ رغم تأكُّدي أنهم ليسوا بالخارج! لا أعرف كيف حدث ذلك؟! كيف أسمعهم دون أن أراهم؟! لم أجد تفسيرًا وقتها، لكنَّني فهمت الآن، استطاع مخي الذي يذوب أن يتتبعهم، يسير خلفهم وينقل لي همساتهم اللعينة، تبدو أصواتهم بعيدة، لكنها واضحة، كأن تسمع صوتًا انتقل من طابق إلى آخر، كل هذه الاحتياطات جعلتني غير قادر على حضور المحاضرات، حتى الطعام صِرْتُ أتخَّوف منه، من الممكن أن يدسُّوا به أي شيء للانتقام، لم أَعُدْ آكل، أشم رائحة الطعام الشهية وأنا ألقي به في القمامة فأكرههم أكثر. نقص وزني بطريقة مخيفة في وقت قصير، كلما مَرَرْت أمام المرآة أصابني فزع، وسألت: «لمن تكون

t.me/qurssan

الصورة المرسومة بداخلها؟!»، صورة رجل نحيف باهت لم يبقَ فيه شيء من ملامحي!

الدور الذي أسكن فيه مكوَّن من عِدَّة حجرات، والحجرات كلها تشترك في حَمَّامٍ واحد داخل طرقة طويلة، أحبس بولي لساعات طويلة حتى أتأكد من خُلُوِّ الطرقة المؤدية للحَمَّامِ -رغم أن حجرتي هي الأقرب- أقف خلف الباب أمسح خطواتهم بأذنيَّ، ومن خلال اتجاه الخطوات تمكنت من معرفة الشخص الذي يمر أمامي، مع الوقت صِرْتُ أعلم أن لكل شخص منهم نغمة فريدة أثناء المشي، كنغمات السلم الموسيقي التي يهتز قلبي على أنغامها، (دو، ري، مي) هذا شبشب فريد، (دو، ري، مي، فا) أقدام علاء الذي يسير حافيًا، (دو، ري، مي، فا، صول) خطوات خالد السريعة كأن القطار سيفوته، (دو، ري، مي، فا، صول، لا) خطوة محمد التي تدندن بأغاني أم كلثوم، (دو، ري، مي، فا، صول، لا، سي) صفارة مؤمن وهو يتبول، ثم صوت الماء الدافئ وهو ينساب، ويعيد النغمات السبع ثانية، سبع أنغام لسبع خطوات، لسبع أرواح كأرواح القطط! وأحيانًا ما اتتبَّع الخطوات التي تدور دون الذهاب إلى جهة محددة، الخطوات التي ترصدني وتتسمَّع حركاتي، تصوِّر تصرفاتي لتنقلها للمخابرات، لو فتحت الباب فجأة سأتمكن من فضحهم، وقتها سيحق لي التحدث إلى مشرف الدور، أمسك مقبض الباب حتى تتعرَّق يدي، ثم أتراجع في اللحظة الأخيرة.

t.me/qurssan

فكرت في الاحتفاظ بشيء يحميني منهم، أحضرت سكينًا من المطبخ وأخفيته تحت وسادتي، وكانت تلك أول مرة أضع سكينًا بجواري، لكنِّي لم أتجرَّأ على الخروج به إلى الشارع، كيف أستخدمته للقتل؟!

مع مرور الوقت أصبحت الحياة مستحيلة بينهم، أخرج غضبي المحبوس في سبابهم كلما لمحت أحدًا منهم، وأحيانًا أسبُّهم وأنا بداخل حجرتي، وَصْلَة من أقذع الشتائم التي لم يعرفها لساني من قبل تنهال عليهم، لكنهم يستحقونها! بعد أن تنطلق مِنِّي كقذيفة أهدأ قليلًا وأنام.

في النهاية تشجَّعْتُ للحديث إلى مشرف الدور، شَكَوْتُ له ما يفعلونه معي، والذي تسبَّب في تدمير حياتي ودراستي، أخبرته أنَّني سمعتهم ينقلون سيرتي للمخابرات؛ مواعيد محاضراتي، الشوارع التي أزورها، الأشخاص الذين أتعامل معهم، ما أدوِّنه في حجرة المذاكرة، أوقات نومي، أوقات دخولي الحَمَّامِ، واهتزاز خط بولي من الخوف! لم يكن يعرف شيئًا عن الخوف؛ فلم يقل شيئًا!

يهز رأسه بين الحين والآخر ويومئ، اقتربت منه أكثر، أمسكت يده بقوة لأتأكَّد من أنه يُصدِّقني، أعلم أن الأمر صعب التصديق، لكن للمخابرات أذرع عديدة، يمكنها تجنيد أي شخص! كِدْتُ أُقبِّل يده ليشعر بمعاناتي، ويعرف كيف تحوَّلَت حياتي لجحيم فجأة دون سابق إنذار!

t.me/qurssan

- أنت مصدَّقني؟! مش كده؟

أفلت ذراعه، وأدار وجهه ليُبْقِي ظهره أمام عيني كحائط صلب:

- هنشوف الموضوع وهبلغك هنعمل إيه.

- أنا ماكنتش كده، أنا خسِّيت جدًّا، أنا بموت كل يوم بسببهم ومحدش حاسس!

- هنشوف، هنشوف.

- يعني هتساعدني؟!

- أكيد، أنت كُلِّية إيه؟

- هندسة، وبيعايروني بَرْضُه!

- خسارة!

حديثي إلى مشرف الدور كان القشَّة التي قلبت الطوابق كلها فوق رأسي! بعد أن كنت أعاني من زملاء نفس الدور، صِرْتُ أعاني من جميع الطلاب الذين يسكنون المدينة الجامعية؛ حيث صِرْتُ فجأة «فرجتهم»، كأنَّني أعجوبة، منذ ذلك الوقت تعلمت ألَّا أُخبِر أحدًا بما يدور في رأسي، لا أحد يعرف معنى الخوف الذي أقصده، علي أن أتحمَّل (الوش) وحدي، (الوش) الذي لا يصمت كإذاعة راديو لا تلتقط أي إرسال.

t.me/qurssan

انحرفَتْ خطواتهم عن سُلَّمِي الموسيقي ليحل بدلًا منه نشاز خطوات غريبة من أدوار مختلفة. بقيت متيقظًا يومين كاملين بكامل انتباهي مما أثار حيرتي لقدراتي الجسدية الجبارة، قرَّرْتُ ألَّا أخرج من الحجرة، وأن أتصرَّف في بولي بأية طريقة، فأنا في حالة حرب! لو خرجت قد يعتقلونني!

في اليوم الثالث حاوطتني نداءاتهم من خلف الباب، لم أستجب، شعرت بالمكيدة؛ مشرف الدور معهم، وعددهم كبير، كنت وحدي، صرخت بأعلى صوت لأمنعهم من اقتحامي، في النهاية فشلت، وانهارت قوتي في إزاحة الباب، لتنقشع عزلتي بعد أن نجحوا في الدخول، لم يحتملوا رائحة البول التي تفوح من كل مكان، كما لم أحتمل نظراتهم.لم أَبْكِ وقتها، لكنَّ جسدي كله بات يصرخ بصوت مكتوم!

عُدْتُ من المنصورة وقد عزمت ألَّا أكمل الهندسة وسط صرخات أمي، محاولاتها لإثنائي عما اتخذته من قرارات باءت بالخيبة، طردي من المنزل لم يغير شيئًا، على العكس خلَّصني من قيودها، وأسئلتها: «أنت خسيت كده ليه؟! مالك؟! أنت قلقان من حاجة؟! حد ضايقك؟!» وعندما أثور تكتفي بنظرات ترشقها داخل جسدي كمخبر يقوم بدوره على أكمل وجه.

بعد يومين من التجول في الشوارع أحْسَسْت بأن هناك من يراقبني، أدركت أنَّني وقعت داخل شبكة مخابراتية كبيرة تربط بين زملاء المدينة الجامعية والقاهرة، وقتها علمت أنَّني أعافر

t.me/qurssan

داخل مصيدة كبيرة، وأن طريقي طويل! ظلت أمي غاضبة لضياع فرحتها، لكنها انتقمت مِنِّي بعد ذلك!

نظرت إلى سعيد داخل المرآة؛ يستخِفُّ بألمي كعادته، يتحرك نحوي بثبات: خطوة، اثنتين، ثلاثًا! ثم يلامس كتفي كتفه ويلعقني بنظرة عميقة لمركز الرؤية مباشرة، أراه تلك المرة واضحًا؛ سعيد بكل قسماته التي أكرهها، أبادله النظرة نفسها، أكرهك يا سعيد أكثر من أي وقت مضى، أنت مَن علَّمَني القتل، لن أسامحك!

أخرجت السكين الذي يعرف طريقه وحده، يخترق المرآة، ويجعل سعيدًا يصمت إلى الأبد! ويختفي من حياتي وكوابيسي! كان عليَّ التعلم من أخطائي هذه المرة، سحبت السكين من جسده المدمَى وأخفيته حتى أتمكن من إتلافه وإتلاف بصماتي عليه! تاركًا بصمات أخرى على المرآة!

t.me/qurssan

(9)

فطام.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

انتبهت بعد استيقاظي من غفوتي إلى محاولات استرضائي، زوجتي وأمي يتعاملان معي كطفل مُدَلَّل طال غيابه؛ الشاي الساخن موضوع على «الكومودينو»، طبق الفول الذي أحبه على المائدة، ابتسامة كاذبة مرسومة بدقة على وجهيهما، سؤال مُلِحٌّ عن أحوالي وصحتي، تشير أُمِّي لرأسي وهي تسألني كأنَّني كنت أعاني من صداع تافه لا من إعصار مدمر، بدت ملامح الاستخفاف على وجهي، لم تُجْدِ محاولاتهما الخائبة في محو الحقيقة، سمعت أمي تبكي في الصالة بعد أن أغلقْتُ الباب في وجهها المبتسم، دموع التماسيح! يبتسمون فقط وهم يلتهمون فريستهم، لا أعرف متى نبتت مشاعر الكراهية تجاه تلك المسِنَّة التي لا تفعل شيئًا غير الصلاة والدعاء عليَّ، لا أعرف ما فائدة كل هذه الصلاة؟! ما أتذكره أنَّني انتبهت إلى الكراهية شجرةً وافرة الغصون والثمر، لا تحتاج لِسُقْيَا، تتغذي وحدها على قلبي، يكفي أن أتذكر أن تلك العجوز الخرفاء وضعت في طعامي مادة كيميائية لتؤذيني، عرفت من الصيدلي جارنا أن مادة كالزرنيخ -مثلًا- تبدو آثارها القاتلة مع الوقت، وهناك الكثير من المواد مثلها؛ لذلك يصعب الربط بينها وبين التغيرات التي تطرأ على الجسد، مما يُبْعِد الشبهة عن المجرم! في البداية شعرت بآلام في رقبتي وظهري، ولاحظت اختفاءها مع امتناعي عن الطعام، وتناول أطعمة من مطاعم حرصت على تغييرها باستمرار كي لا تصل إليهم أذرع المخابرات كما وصلت لأمي، كيف باعتني لهم، ونسيت أنَّني طفلها الوحيد؟! كيف استطاعت قتلي بهدوء كما

t.me/qurssan

تنظف قشور السمك وتخرط شرائح البصل؟! حين بدأت الربط بين آلام جسدي وطعامها، وبعد سؤال الصيدلي الذي بَدَا مرتبكًا من أسئلتي؛ سقطت في نوبة عنيفة من الاكتئاب أفقدتني القدرة على الحديث إلى الآخرين، أن تعرف أن أمك تخونك؛ تحزن، تغضب، تنفعل، تموج، تثور، تصفها بالعاهرة؛ لأنها أنجبتك في عالم لم يقل لك مرحبًا، ثم تصدق حين لا تصفعك على وجهك أنها عاهرة بالفعل! لم تنفعل للتهمة، لم تُنكِر أو تغضب! ليتضح لك أن أباك مسكين، وصلاتها لم تكن سوى تكفيرٍ عن ذنب عظيم! يزداد غضبك لأبيك المغفل، تشعر أنك مغفل بالوراثة! كلمة واحدة كشفت تلك «البالوعة» المغلقة، كلمة مكوَّنة من خمسة أحرف: (ع ا هـ ر ة) متى كرهتها؟! هل حدث ذلك وقت أرضعتني لبنها المسموم وهي ناقمة؟! أم أنَّني أكرهها من قبل أن تلدني وأنا أتكشف موضعي بجوار بولها وخرائها؟! أم حين باعتني للمخابرات، ووضعت لي السم في الأكل؟! عزفت عن الكلام، لا شيء يمكن قوله بعد أن سبَبْتُ أمي كأية امرأة في الشارع لا أعرفها، وبعد أن سَكَتَتْ على سُبَّتِها في استسلام وتصديق!

اليُتْم امتلكني، لم يَعُدْ لظهري مُتَّكَأ، كم تمنَّيت أن أرتمي في حضنها يوم اقتحموا الحجرة في المدينة الجامعية، أن أخبرها أن ابنها الشحط تخلص من بوله في أدراج المكتب! أن أبكي حتى يبتل حجرها، وأرتعش حتى ينتهي خوفي، فتهدهدني كطفل، وترضعني شجاعتها وثباتها، تشخط في وجهي وتقول لي: «استرجل»؛ فأسترجل وأكمل دراستي، وقد تأخذ حقيبة سفرها وتجعل

t.me/qurssan

مشرف الدور (فرجة) للجميع، كما كانت تفعل مع أولاد الجيران.

أحببتها حين كُنت صغيرًا؛ رأيتها قوية، لا يمكن لشيء أن يكسرها، حتى خلافاتها مع أبي وجدتي، تتعامل معها بقوة وحكمة، لم أرها تبكي طوال حياتي سوى هذه الأيام، تبدو هَشَّة كطيف لا أعرفه، غريبة وبعيدة، وأنا وحيد كنبتة شيطانية، لم تجد شمسًا ترعاها، أرى وأسمع، وتنكتب داخل رأسي الحقائق كوسوسة شيطان مُطَّلِع يسهر على نبتته حتى تكبر، وضعت أذني على الباب؛ تدعو عليَّ كما توقَّعْتُ وكما يليق بعاهرة!

تَذَكُّر تلك الأيام الصعبة مرهق، كم مَرَّت عليَّ الليالي طويلة لا تنتهي! كأن تكتشف فجأة أن أهلك ليسوا أهلك! هم فقط وجدوك أمام مسجد فاعتنوا بك! يُتْمُك عار، ووجودك بينهم عار، الفقاعة التي تحيا بداخلها ستنفجر في وجهك الطفولي ذات يوم، لم أخرج من متاهة الاكتئاب إلا حين اكتشفت أنَّني أحب نُهَى، لم أعرف كيف تم ذلك، كل ما حدث أنَّني رأيت وجهها أمامي كطيف في أسوأ الأوقات، الأوقات التي لا يعرفها غير المكتئبين، وقت الفجر حين تشعر أن هناك من يَهُزُّك لتستيقظ، وفي عتمة الليل وسط وحدتك تفكر، لا تعرف لماذا استيقظت؟! وكيف يمكنك العودة للموت ثانية؟!

زارني طيفها أكثر من مرة حين فَكَّرْتُ في التخلُّص من حياتي، وتذكَّرت الأيام القديمة حيث كنت ألعب معها في حوش البيت،

t.me/qurssan

أبوها قريب لأمي، قرابة بعيدة، لكنَّها كافية للوثوق بي، والتشجع لطلب يدها.

بدأت نُهَى تتسع داخلي لتملأ الفراغ الذي صنعه غياب أمي، دخلت المستشفى أكثر من مرة بسبب قلة الطعام، حالات من الإغماء انتابتني بين الحين والآخر، ولحظات طويلة من الغياب داخل سريري، تأتيني فيها نُهَى عارية كعروس بحر خرجت لِتَوِّها من الماء تلمع فَخْذُها، أبتسم داخل غيبوبتي ويبتسم جسدي، تشدني، فترتخي أعصابي لحركاتها، فلا أملك سوى السير خلفها حتى يُبَلِّلني الموج، حتى في أوقات الهياج الحاد في وجه العجوز! كانت نُهَى تقترب مِنِّي وتربت على كتفي لأهدأ.

ساعدتني الفيتامينات التي وصفها الأطباء على استقرار حالتي، أصبحت بعدها في أفضل حال، وبدأت أُفَكِّر جديًا في الخطوبة، وسط فرحة أمي التي اعتبرت ذلك شفاء تامًّا من أمراضي، بواسطة أمي تم كل شيء بسرعة.

لم أكن مريضًا لأشفى، أتناول فيتامينات فقط لتساعد جسدي الضعيف، كل ما في الأمر أنَّني استسلمت لخسارتي، وفقدت الأمل، أخبرت نُهَى بحبِّي، وانزاحت كل الأفكار عن رأسي سوى فكرة واحدة؛ أنَّني لن أحيا بدونها.

تركت الحجرة متجهًا نحو حجرة ابنتي، تأمَّلتها وهي نائمة، تشبه أمها كثيرًا، شعرت بالمسئولية تجاهها -ربما لأول مرة- أنا

t.me/qurssan

حاميها الوحيد، بقائي مرهون ببقائها، أستمد منها القدرة على الاستمرارية في البيت، والشرعية كزوج لا بدَّ من تَحَمُّلِه من أجل الأولاد، دونها سيزداد شعوري بالخطر، ألقيت عليها نظرة طويلة، هل تعرفني؟! هل ستصدق قصتي العجيبة، وتؤمن بقدرتي الفذَّة على الرؤية؟! أم ستصدقهم؟!

تشبه نُهَى بطريقة مخيفة، أحسست بها تقول: «لا تنسَ الدواء»، وشعرت في حركتها شكوى أمها، أمعنت النظر أدقِّق في الوجه النائم، اقتربت من أنفاسها الصغيرة التي تتوقف لثوانٍ ثم تعود ثانيةً، وقعت في حيرة وأنا أقارن أنفاسها بأنفاسي، تبدو بالنسبة لي متقطعة، هل هذه طبيعة الأطفال؟! أَمْ أنها تحتاج للمساعدة؟! خرجت من الحجرة أزعق في كل من في البيت:

– أنتوا إزاي مش واخدين بالكم من البنت؟!

– ما لها؟!

– أنتِ أُمّ أنتِ؟! أكيد سيباها كده عشان تموت وترتاحي منها.

– أنت مجنون؟! أكيد مجنون وبتخرف!

– مش شايفة نَفَسها عامل إزاي؟!

– ما له؟!

– مالوش! أنا سايب لكم البيت وهطفش!

– أحسن برضه! حاجة تقرف!

t.me/qurssan

كانت أصواتنا عالية، بالتأكيد سمعها الجيران، (رزعت الباب) خلفي في غضب، سيقتلون المسكينة! يبدو أن الأمهات جميعًا مثل أمي، الأمهات عاهرات!

تأخذني الشوارع لمشاهد جديدة، تسحب أقدامي كالمنوَّم نحو حكايات البشر وتصرفاتهم؛ رجل يزعق في زوجته، طفلان يتعانقان في حب، فتاة تجلس في حجر حبيبها على الكورنيش، الجالسون على المقهى يتحدثون ويرقبون المارة، والمارة يُلقون الكلمات إلى بعضهم وإلى هواتفهم الملتصقة بأيديهم، كل منهم في عالمه، وأنا مُتَّسَعٌ داخل عوالمهم، رجل يسرق لمسة من امرأة غير منتبهة، كل شيء يحدث حين نغفل! فتحت عينيّ على اتساعهما لأمسك بأية غفلة تحاول التسلُّل إلى جسدي، أتلفت للخلف، لليمين، للشمال، للأمام، أصواتهم تنتقل عبر ذرَّات الهواء مجسَّمة، أصوات مَرْئِيَّة بأيدٍ وأرجل، أصوات غليظة لها شوارب وكروش، أصوات أنثوية بأجسام رفيعة داخل بلوزات ضيقة، أصوات لها عمامة وقفطان، وأصوات أخرى ترتدي نظارة شمس وتلوي ألسنتها بكلمات أجنبية، أصوات متآمرة، مغتاظة، متعاركة، وبينما تزدحم الأصوات أتاني صوت ضعيف يلبس جلابية ممزَّقة، يشحذ القليل من الأموال من الأقدام المارَّة أمامه، له وجه تغزوه التجاعيد، مضغه الفقر وبَصَقَه على تلك الرقبة القصيرة، الصوت يقول: «ابني مريض وباصرف عليه، ربنا يسترها عليكم، ربنا ما يوقعكم في ضيقة، ربنا ...»! توقفت أقدامي عند المرأة المسكينة وصوتها الخافت، لكنِّي شعرت أن

t.me/qurssan

الجميع يرقبونني، فأسرعت الخُطَى واختبأت حتى اقترب الليل وخلا الشارع من البشر، وقبل أن تهم العجوز من رقدتها اقتربت منها أُخرِج كل ما في جيوبي، أجلستني جوارها، ملامحها تشبه ملامح أمي -أو هكذا رأيتها- قالت بحنو:

– خلي فلوسك معاك، شكلك غلبان.

– أنتِ محتاجة الفلوس أكتر مِنِّي.

قذفت الأموال في حجرها، لم أتفرَّغ لعدِّهم، لكنها كانت كل ما أملك. أكمَلَتْ:

– طب أنت عايزني أعملك إيه؟! أدعيلك بايه؟!

– خديني في حضنك كأني ابنك بالظبط.

– بس أنا نسيت إني عندي ولاد.

– أنتِ مش بتقولي أن ابنك تعبان.

– أهو كلام، هقولهم يعني إن ولادي ومراتتهم هما اللي رموني الرمية دي!

تمدَّدْتُ على الرصيف ووضعت رأسي في حجرها، سألتني عن حكايتي، أخبرتها أن أمي ماتت وأنها تشبهها!

– مش قلت لك شكلك غلبان!

نمت داخل صدرها الواسع، واستيقظت كطفل مفجوع ملقًى

t.me/qurssan

على رصيف مظلم! لم أجدها، ولم أجد ساعتي أيضًا! قلت: لا يهم! يبدو أنها انصرفت حين غلبني النعاس، لكن رائحتها ما زالت في المكان، رائحة أشياء قديمة تركها الزمن بعد أن مَلَّ منها، سمعت صوت بكاء أمي، الصوت الذي أسمعه دومًا دون سبب واضح، يبدو أن المرآة تنقل إليَّ ما يحدث في البيت، أنصت إلى تلك (النهنهة) الخارجة من القلب، مع زفرة حارة، وشهقة رضيع يمسك بالموت أو الحياة، حاولت تقليد ما أسمعه فارتفع صوتي نشيجًا وبكاءً حارًّا كأنَّني فطمت اليوم، تكوَّمْتُ بجوار الحائط ونشيجي يجذب كائنات الليل التي لا تهدأ، لم أنتبه إلا حين وجدت قطة تتمسح بأقدامي وتنام جواري، لم أقوَ على (هشها)، واكتشفت أني لم آكل طوال اليوم، غابت عيناي وهي تلعق وجهي كميت لن يقوى على إيذائها!

الشمس أول ما خبط رأسي، ثم صوت البشر، انطلقت وأنا أتحسس رقبتي خوفًا من لدغة أخرى، رفعت بنطالي وأسرعت الخطى، شعرت أن هناك من يراقبني، سعيد مرة أخرى! سعيد بعد الموت كقبله! لكنِّي لن أتمكن من قتله هذه المرة، انحشرت وسط الجموع أتلمَّس بعض الحماية، تطاردني جثة متوفاة، لن تتمكن مِنِّي طالما لم أكن وحدي، أتلفَّت للخلف فأشعر بحركة مُرِيبة، صوت غريب، هل أخطأت السكين في إصابتها؟! أم أن القطة أيقظته كما رأيت؟! لن أتمكن من حسم الأمر إلا حين أرى جثة سعيد مدفونة بعيني!

t.me/qurssan

حين دخلت من باب الشقة وجدت أمي بملابس تدل على أنها كانت في الخارج، لم أعرها اهتمامًا، لكنها أوقفتني حين قالت:

– كمان مَوِّتْ أمك!

– أنتِ بتراقبيني بقا عشان تبلغيهم بمكاني مش كده؟! لا برافو، بتأدي مهمتك على أكمل وجه!

– آه، براقبك عشان مهمتي إني ماشوفكش في يوم نايم على الرصيف بهدوم مقطعة وشعر منكوش والعيال بتحدفك بالطوب.

– هَاوعدك بعد كده إني لما أطفش هبقى أسرح شعري وألبس كويس، بلغي اللي بعتينك أنكم مش هتغلبوني أبدًا، أبدًا، أنتِ فاهمة!

t.me/qurssan

مشهد رقم (1):

البدايات دومًا جميلة، لكنَّني نحس، عروس تمسح دموع الفرح، وعريس يخلع عنها فستان الزفاف، كان ذلك أول مشهد حقيقي لي بعد انتقالي من محل الأثاث، ولأن الدراما لا تفارقني؛ أطفأ الزوج النور ليثقب عيني ظلام دامس، أتحسَّس خلاله الموج الهادر الذي قلب السرير رأسًا على عقب، بعد دش دافئ هبط على كتف العروس، عرفْتُ أنها نُهَى، وهو اسم يليق بانتهاء حياتي المملة بين قطع الأثاث، التقطت ضحكة من نُهَى الخجلى وكلمة في أذنها من عريسها، جسدها زهرة مغطاة بالندى تتفتَّح على يديه، كنت شغوفة بالرؤية وهما يختبئان عَنِّي خلف ستار مصمت، سمعت تأوُّهًا، ثم صرخة ألم، بعدها ارتفع الضوء لأرى جسدها غارقًا في البياض، تمنيت يَدَيْنِ أربت بهما، ولسانًا أتغزل به، ورجلين أتحرك بهما لأغوص داخل جمالها القمري، أعشق الفضة التي تسيل وسط الموج الذي يتكسَّر على سطحي. البحر يشبهني، لنا خاصية واحدة، وانعكاس واحد لفتاة جميلة، نظرت للرجل الذي يحتضن ألمها بغضب غير معتاد، وتساءلت عن سر مشاعري غير المفهومة؛ فلم أجد إجابة!

تطورت المشاهد وبت أنتظر اللحظة التي تتقلب فيها نُهَى على السرير لأراها، النظرة التي تلقيها على وجهي في الصباح، البسمة التي تبتسمها بعد أن تضع بعض المكياج، بسمة الرضا التي لم أَعُدْ أراها كما كانت في بادئ الزواج، أنتظر بفارغ صبر اللحظات

t.me/qurssan

التي تجمعنا وحدنا، شعرت أني لم أحب إنسانًا كما أحببت نُهَى، ولم أكره أحدًا مثلما كرهت زوجها! الذي يعشق الدراما! أنادي عليها بصوت مكتوم أن تقترب مني قليلًا، أن تلصق وجهها في وجهي كي أسمع صوت نفسها الساخن وأحسه بخارًا على سطحي العاكس. لم تستجب! لم تسمع صوتي! عذرتها فالعيب يكمن داخلي! من سيسمع مرآة بائسة في منتصف الحجرة؟!

t.me/qurssan

مشهد رقم (2):

- أنا عايزة أسألك على حاجة.
- اتفضلي يا نُهَى يا حبيبتي.
- هو بيعمل كده ليه؟! أنا باسمعه بيكلم نفسه، بيكلم المراية! القطط!
- ماعرفش، أهو عندك اسأليه!
- ما تعرفيش إزاي أنتِ مش أمه؟! قال لي قبل الجواز إنك بتكرهيه! بس اللي أنا شايفاه قدامي أنه هو اللي بيكرهك! يعني كان بيكدب عليا.
- ...!
- أنتوا مخبيين إيه عني؟!
- ولا حاجة. أنتِ شكل الحمل مأثر عليكِ وعلى نفسيتك!
- أنتِ شايفة اللي بيحصل طبيعي؟!
- ...!
- هو اتحجز في مستشفى قبل كده صح؟! مستشفى إيه؟!
- مش فاكرة ... ارحميني بقا، وسيبيني في حالي!

قلت: لماذا لا تُنْهِي تلك الدراما وتتركه؟! لماذا يعشق البشر الدراما بذلك الشكل؟! الأمر في غاية البساطة!

t.me/qurssan

مشهد رقم (4):

البدايات لا تدوم طويلًا، تأملت نُهَى مهملة كنبتة تموت من قلة الماء، جسدها يعلوه الصدأ، تفوح منه رائحة لبن متخثر، بنتها تأخذها إلى منحدر عميق منكوشة الشعر ومشوشة، وبطنها التي تعلوها الخطوط تُفْقِدها أنوثتها، تفرح حين يُخطِئ أحدهم ويقول لها: آنسة! كأنه دليلها الوحيد على أنها ما زالت أنثى.

المنحدر خطر، والمسئولية ثقيلة على ظهرها، كلما سمعت صرخة انتبهت ألَّا تكون الطفلة قد سقطت. رعب من غد، فالغد يأتي وقلبها بالخارج يحبو على الأرضية، ويتناول أي شيء يقابله، فيصاب بنزلة معوية تتطلب طبيبًا وأدوية ورعبًا أكبر، لم أعد أرى الزوج كثيرًا، ينام في الخارج، والسرير هادئ كبحر ميت، ونُهَى عروس بحر مات، تتذكر الشهور التي مرت دون لمسة واحدة، مغازلة، كلمة، إطراء! الشهور التي مرت عليها دون أن تفعل شيئًا غير رضاعة الطفلة، وحمومها، وتغيير الحفاض، ونشر الغسيل، الشهور العجاف بينما يغط زوجها في كوابيس وضلالات بين أشباح وقطط!

كم صرت أكره طبيعتي كمرآة صامتة ثابتة واقفة! تنطبع على جبيني صورة حبيبتي، ولا أتمكن من مساعدتها!

اليوم فوجئتُ بها تخلع ثيابها كاملة أمامي، ظهرت على سطحي

t.me/qurssan

العاكس بيضاء رشيقة، اقتربَتْ أكثر، ثم اعتلَتْ التسريحة لتنام فوقها، تلامسنا واحتضنْتُ انعكاسها الفضي، واندمجتُ معه، مع ذرَّات جسدها. انهارتْ قوتي تطوقها وتحصرها في المكان الضيق، كان جسدها يابسًا كعشب أصفر، وكنتُ أصغر من شربة ماء تسقيها، انطوتْ داخل ذرَّات الرمل الزجاجية التي تحتك بجسدها الطري وتترك عليه خربشات دامية، صرخَتْ، تأوَّهَتْ، سألَتْ: لماذا يغيب زوجها شهورًا؟! ولعنت سؤالها المهين! هي لا تحتاجه، لا تريده، تكرهه، تكره طفولته، تكره رجولته، ليس هناك أشهى من الذات، الذات المجردة!

نظرتْ إلى جسدها المتعرق، وشعرها المنسدل خلفها في المرآة، وردَّدت هل يستحق أنوثتي؟!

اقتربَتْ مني، ابتعدَتْ عني، انطوَتْ داخلي، وانطويْتُ داخلها، أنثرُ ذرات الزجاج عليها، تُدْمِي جسدها فتصرخ ألمـًا ورغبة! التحمَتْ بي والتحمتُ بها، جسدها ومرآة وانعكاسها، أقبع في المسافة الضيقة بين جسدها وانعكاسه، تعصرني انقباضاتها، لم تحتمل التسريحة غضبها المشتعل وأنوثتها الطاغية، ذاتها التي تكفي كل شيء، ذاتها الأنثى، ذاتها الرجل؛ انكسرت التسريحة أسفل الجسد المدمَى، تعرفتُ على الطرق التي انحفرت بجسدها، والندوب التي سيتركها السطح الحاد اللامع، قلت ما الذي أفعله؟! أنا مجرد مرآة! كيف أفكر كرجل؟! كيف صِرْتُ رجلًا بقلب شارد وعقل مختل؟!

t.me/qurssan

بكت وارتفعت (نهنهاتها)، لا أعرف سبب بكائها؟! سال حليبها على الجسد المبتل، وعلى سطحي، قلت الحليب قادر على إحياء الموتى، فهل سيقدر على تحريكهم؟!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(10)

دموع بلا سبب وجيه.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

في الصباح قررت الذهاب إلى المقابر والبحث عن قبر سعيد، كنت متردِّدًا بشأن الذهاب، الموتى والبشر يرهقونني، لكنَّي عزمت على البحث في ضوء النهار، وقبل أن تسقط الشمس في سباتها سأعود للمنزل.

الشواهد كثيرة، وكذلك الأسئلة حول وِجهَتي: «أنت جاي لزيارة مين يا بيه؟»، لم أُجِب، كانوا مزعجين كدبابير تزن، بحثت طويلًا دون أثر، وصِرْتُ على يقين أنه حي كقطته.

الموت لا يميز الموتى، جميعهم متشابهون في الموت؛ قبور واحدة، شواهد متشابهه، زروع صبار وورد باهت، حتى أسماؤهم التي قضيت اليوم أقرأها بدت لي في النهاية واحدة، اسم واحد طويل مع بعض التباديل والتوافيق، حتى العاملون هنا متشابهون كأنهم دُفِنوا مع أول ميت دفنوه، مغبشين بتراب أبيض وضحكة رياء، وعلامات تديُّن كاذبة كسبحة طويلة أو لحية مهذَّبة، ودعاء محفوظ يبصقونه فوق قبر الميت كلما أتى أقاربه للزيارة، كأنهم لا يهتمون سوى بميتهم، وأن فقيدهم هو شغلهم الشاغل، كأن النفر منهم لا يتابع الحروب على التلفاز، ولا يُقبِّل امرأته ليلًا، ولا يشاهد مشهدًا مضحكًا ويضحك، وأنه حين تمتلئ مثانته عن آخرها لا يسقي زروع ميتهم ببوله!

كرهت هيئتهم وخصوصًا حين أخذت الشمس قيلولتها الأولى بعد العصر، رأيتهم في رأسي يستغلون غياب الشمس والبشر، يعبثون بالقبور، يُخرِجون الموتى ليسرقوا أسنانهم ويُقلِّبوا في

t.me/qurssan

أعضائهم كمن يقلب في ملابس ليطمئن على مقاسها! أحست معدتي بالخطر، وبدأت تتلوى وتُخرِج محتوياتها على الأرض، تقيَّأْتُ تلك العصارة الصفراء، لم أتناول شيئًا منذ الأمس، ازداد قلقي مع تزايد عدد القطط، قلت لنفسي ما حدث قد حدث داخل رأسي فقط، وفي الخارج تبدو القبور هادئة غير مبعثرة، ثم لم تمضِ دقائق حتى تشكَّكت في كل شيء، هل ما أراه يحدث الآن، وفي ضوء النهار دون أن ينهرهم أحد ويخبرهم أن للموت حرمة؟! لماذا يبدو الجميع كآكلي لحوم البشر؟!

تقيَّأتُ كثيرًا حتى شعرت أنَّني سأجد معدتي على الأرض، تتلوى وتنقبض ككائن تُرِكَ ليموت، أتقيَّأ بلا قَيْء، انقباضات لا تتوقف!

وبينما أنا على هذه الحالة اجتمع حولي ثلاثة منهم، صرخت فيهم:

– انتوا عايزين ايه؟!

– أنت اللي عايز إيه؟! بص يا سيدي في الترب فيه نوعين من الناس مالهمش تالت، أحياء ودول بيعملوا حاجتين برده مالهمش تالت، بيقفوا على القبر يبكوا ويدعوا، ويخلونا نسقي الصبار اللي حوالين التربة بعد ما يرمولنا قرشين، وبما إنك ماعملتش أي حاجة من دول وقاعد تلف من الصبح، يبقى أنت هربان.

t.me/qurssan

– هربان من إيه بس سيبوني!

– أنت بقا هربان من أنهي تربة؟! مش كل شوية هنلم واحد، دوَّختونا، لو القبر مش عاجبك نحفر لك غيره، لكن تضايق اللي جابونا؛ لأ!

نزلت كلماتهم على وجهي كماءٍ يغلي، عددهم وصل إلى خمسة أو أكثر، لم أجد مفرًّا وهم يسحبونني كذبيحة أُعِدَّت للأضحية، حاولت المقاومة بلا فائدة، وفي الأركان البعيدة التي بدت لي صحراء بلا نهاية بدأ الحفر! قال أحدهم:

– إحنا هنرمُوه في الحفرة بهدومه؟! مش المفروض يكون معاه كفنه؟!

وافقه آخر موجِّهًا كلامه لي:

– فين كفنك يا ابني، ضيعته فين؟!

لم أجد ما أقوله، فسكت صاحبهم مندهشًا لما بَدَرَ مِنِّي! ربت على كتفي أكبرهم سِنًّا، كان عجوزًا لا يقوَى على أعمال الحفر والدفن، يبدو أنه مخصَّص للدعاء وسقي الزروع، والحكم بين المتخاصمين حول توزيع الأموال بحكم سِنِّه، قال لي وهو يهزني مؤنِّبًا:

– افتكر كويس، الهدوم دي ما تليقش بيك أبدًا ولا بالمكان اللي أنت رايحه، دي حتى واسعة، بص البنطلون هيقع أهو! جيل ما يعلم به إلا ربنا!

t.me/qurssan

سقط بنطالي بالفعل، كأنه يسمعهم، كانوا يمسكون يدي ويضعونها خلف ظهري، فلم يجد البنطال أي رادع لفعلته المشينة، ضحكوا وهم يتناوبون كلمات مثل: «تستاهل، حتى الهدوم مش طايقاك، كان فاكر أنه هيهرب ابن الكلب، مَيِّتين آخر زمن»!

انتهت مهمة الحفر، ولم يبقَ غير الكفن، انقسموا إلى فريقين؛ فريق يرى أنَّني لا أستحق إهدار ثمن كفن؛ فالأكفان غالية، خصوصًا بعد أن فتَّشوا جيوبي ولم يجدوا بها أية أموال، والفريق الآخر يرى أنَّني لا بدَّ أن أقابل الله بالكفن.

– ماينفعش يقابل ربنا بالهدوم اللي عليه، إنتوا هتكفروا ولا إيه؟!

– بالراحة علينا يا عم، إحنا ماقلناش يقابل ربنا بالهدوم دي أبدًا، حاشا لله! بس ممكن يقابل ربنا عريان.

قال كبيرهم:

– عريان إيه يا ولاد الكلب يا أنجاس!

– يا كبيرنا مش كلنا هنقابله يوم القيامة زي ما ولدتنا أُمِّنا؟!

– أيوه.

– طب هو القبر إيه غير قيامة على صغيَّر، وأهو نوفر تمن الكفن ده لحد محتاجه، لكن ده هربان ابن وسخة، حلال فيه القلع.

t.me/qurssan

اقتنع العجوز بعد أن دعك ذقنه بأصابعه ووجه كلامه لي ولصاحب الفكرة:

– تصدق يا حمو طلعت بتفهم، أنا طول عمري بقول أنت اللي فيهم، اقلع يا وله خلينا نرميك ونخلص.

في ذلك الوقت أدركت أنَّني هالك، فكرة زيارة المقابر فكرة سيئة للغاية، حاولت أن أتملص منهم؛ فإذا بي أصبح في قبضتهم أكثر! وجدت أن فكرة خلع الملابس قد تمكنني من الهرب:

– حاضر، سيبوني طيب وأنا هقلع بنفسي، أنا محدش يقلَّعني.

نظر كائن الـ«حمو» إليَّ بسخرية وهو يؤكد على كلامي متفلسفًا:

– سيبه يا كبير يقلع بنفسه، عشان ما نبقاش أجبرنا ميت على حاجة، إحنا مش هنشيل ذنبه.

حاز الـ«حمو» على نظرات الفخر والإعجاب، وفي الوقت الذي خلعت فيه ثيابي تمامًا، خلعوا أيديهم عن جسدي وهم يشعرون بالحرج، وبذلك صرت حُرًّا دون أن ينتبهوا، هربت من بين أيديهم، انطلقوا خلفي والكبير يسبهم ويلعن الحَمُّو على «حموريته» التي لا مثيل لها!

اختبأت منهم وسط جنازة عامرة بالمعزِين الذين ارتعبوا لهيئتي بلا ملابس، أخبرتهم أن عمال القبور يريدون دفني حيًّا، وأنهم هم من خلعوا عني ثيابي، كلما تكلمت ازداد الخوف مني

t.me/qurssan

كأنَّني شبح هارب! لا أفهم لماذا هم أغبياء لتلك الدرجة؟! وصلت إلى الميت وقبل أن يدفنوه نصحتهم ألَّا يُلْقُوا ميتهم؛ فالعمال يبعثرون القبور ليلًا، يقيسون الأعضاء التي تناسبهم ويحتفظون بها كبدائل! أزاحوني عن طريقهم، وألقوا به ككيس زبالة داخل حفرة ضيقة! زبالة لن تَسْلَم من النبش!

عندما هدأ كل شيء أدركت أنَّني حبيس المقابر، كيف سأخرج هكذا؟! مكثت بين قبرين بعيدًا عن عيون العمال والقطط أنتفض من البرد.

القطط تحوم حولي، كلما ابتعدت عن دائرة منها، التفَّتْ حولي أخرى بعيونها اللئيمة وأجسادها المتمايلة، حتى وجدتها وحيدة تتمسح بالأرض ندمًا، أَتَتْنِي وحدها دون مجهود مني مطأطِئَة الرأس وهي تعترف بذنبها، هي من قتلت سعيدًا! كان من المفترض أن تموت هي لا هو!

قطة سعيد كما أعرفها، لا يمكن أن أنسى هيئتها وهي تلعق رقبته وتترك أنيابها داخلها، فَعَصْتُها بقبضتي، كنت على يقين أن في قتلها خلاصي الأبدي من الأرواح التي تراقبني، وجثة سعيد التي تقترب مني وأنا نائم، أو حين أنظر للمرآة، وجدتها باهتة كوجه سعيد وهو ميت، مذنبة ومستعدة لتلقى عقابها المحتوم! نظرت إلى القبر الذي تختبئ خلفه، سعيد! إنه قبره! كل شيء واضح الآن، إنها تحاول إحياءَه!

t.me/qurssan

انتظرت حتى دخل البشر جحورهم، مشيت عاريًا تأخذني الشوارع الخالية إلى المنزل، أسير على مَضَضٍ، كلما سمعت صوت أحد اختفيت خلف صناديق القمامة.

أمام المنزل وجدت زوجة سعيد تناديني، تردَّدْتُ قبل الذهاب إليها، كانت ترتدي قميص نوم (فوشيا) فاقع، مالت نحوي ثم صرخت:

– أنت عريان يا راجل! مش سقعان؟!

– شوية!

– أدفيك؟!

– متشكر ..

– ....!

– أنا عايز أقولك على حاجة ومتردِّد! بس حاسس إني هارتاح لو قولتلك.

– قول ما تتردِّدْش.

– أنا قتلت سعيد، قتلته بالغلط كان قصدي أقتل قطته بس جت فيه!

– وما له، مش مشكلة!

– أنتِ مش متضايقة؟!

– أنت هاتضايقني بالعافية؟! بالعكس، أصل ما يعجبنيش

t.me/qurssan

غير الرجالة اللي ما يخافوش، قتلت سعيد وما خفتش، ماشي عريان ولا هَمَّك! أموت أنا في الصنف بتاعك!

– مش يمكن أكون أكتر راجل بيخاف؟!

تركتها وجريت، ومن ارتباكي صنعت بعض الضوضاء على السلم، مما جعل جارنا الحاج (علي) يفتح الباب -كعادته- ليطمئن على كل ضوضاء تصدر، كان جاهزًا لصلاة الفجر، أغمض عينيه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم حين رآني، صعدت جواره دون إصدار صوت، حين فتح عينيه لم يجدني! الشيطان يفيد أحيانًا كثيرة!

أعدَّت نُهَى نفسها لمقابلتي، بعد أن فتحت الباب وجدتها تجلس أمامه مباشرة، تركت القطة من قبضتي استعدادًا لمقابلة سخيفة:

– يا لهوي! أنت كنت ماشي كده في الشارع؟!

– ... غصب عني! كانوا هيموتوني لو ما قلعتش!

– أنت هتعمل فينا إيه أكتر من كده، فوق بقا! أرحمنا! وارحم أمك المسكينة!

– طب ما ترحمي نفسك أنتِ، وما تناميش فوق التسريحة تاني!

– أنت بتخرف بتقول إيه؟!

t.me/qurssan

– مين اللي كسر التسريحة دي؟! مش أنتِ؟!

– كمان مش حاسس بنفسك؟! أنت اللي كسرتها لما اتنرفزت آخر مرة!

– بتكدبي؟! وأنا برده اللي باشتكي من الجواز وسنينه! أنا اللي بعمل كل ده!

– أنا باكرهك! وبكره نفسي وأنا جمبك!

نزلت كلماتها على رأسي مع الماء الدافئ تغسل جسدي ذا رائحة القيء، مزاجي سيِّئ، كل ما حدث خلال اليوم يتمثل أمامي على قطرات الماء، ويزيد مزاجي سوءًا، لماذا لا تراني نُهَى كما تراني زوجة سعيد «راجل بجد»؟!

أتذكر اللحظات التي خلعت فيها ثيابي وعمال القبور يستحيون من عُرْيِي، ثم نظرات المعزِّين، وأخيرًا نظرات القرف على وجه نُهَى! كانت خائفة مني!

امتزجت دموعي بالماء، دموع بلا سبب وجيه، لا أعرف من أين تأتي؟! ولا لماذا؟! لكنَّي تركتها تسقط مع كلماتها على أرضية «البانيو».

t.me/qurssan

مشهد رقم (6):

يُفْتَح الستار على نُهَى جالسة أمامي مع صديقتها:

– المشكلة إني بحس جمبه إني مش ست!

– طز فيه، المفروض تبقي واثقة في نفسك حتى لو مش موجود في حياتك.

– ساعات بحس إني ظلماه معايا!

– ظلماه في إيه بس؟!

– إنتِ رأيك إيه في اللي حكتهولك عن أيام الخطوبة؟!

t.me/qurssan

(11)

الروح الأولى.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

أخفيتُ القطة في حجرة نومي بعد أن أمرتهم في البيت بعدم التعرض لها، في المساء حين اطمأننت لنوم الجميع قررت قتلها، بَدَا لي أن إلقاءَها من أعلى البناية موتة جيدة، لن أتكلَّف مجهودًا في القتل، كما أن الأمر سيبدو طبيعيًّا كأنها سقطت وحدها أو في إحدى معارك القطط الطاحنة.

صعدت متخفِّيًا ببعض الملابس، عندما وصلت إلى السور، أمسكت بذيلها تاركًا جسدها يتطوح يمنة ويسرة في رعب، كانت مرتعبة وعيناها تنتقلان بين وجهي والشارع الأسفلتي. ظللْتُ على هذه الوضعية حتى لاحظت أعصابها ترتخي، الخوف قاتل! فلتجرب ما شعرت به يوم قتلت سعيدًا، ولتتحمَّل ما أثارته في نفسي من فوضى، فوضى القتل! تركْتُ ذيلها من يدي والباقي فعلته الجاذبية!

على السلم سمعت مواءً عاليًا، انكمشت، لكنِّي تمالكت نفسي وتتبَّعت الصوت، كان خارجًا من شقة جارتنا العجوز (كريستين)، تُربِّي عددًا كبيرًا من القطط التي لا تموت، وضعْتُ أذني على الباب، تبدو القطة غاضبة، تهدِّدُني كأنها رأت ما فعلته بالأعلى! ستخبر كريستين بأنني قتلت قطة سعيد لأصحِّح الخطأ الذي ارتكبته حين قتلت سعيدًا، سيقبضون عليَّ، ويلقون بي في السجن بينما ينعم الذين اخترعوا القنبلة النووية بالحياة، يشربون الويسكي بدلًا من الدماء، لكن القنبلة لا تنفجر كغيرها، إنها تنفجر للداخل، تنفجر دون أن نشعر بها! لماذا لم أجلب

t.me/qurssan

واحدة لقتل جميع القطط؟! فقنبلة واحدة قادرة على إنهاء الحياة على هذا الكوكب المسكين! قنبلة واحدة وأرتاح!

المواء يرتفع كهتافات التأبين، أصابني الخجل من ولائها، لماذا لم أهتف لسعيد تأبينًا له ؟! وأنا أغرس سكيني بصدره! لماذا لا نصنع نشيجًا طويلًا بقُطْر الأرض قبل أن نتخلص من موتانا؟! هل القطط أكثر وفاء مِنَّا؟! مواؤُها يَشِي بي، يشير إليَّ ويقول بصوت مرتفع: «إنه هو ذاك من قتل القطة البريئة!»، يخترق الباب الحديدي ويخبر الجميع بالقصة، شَعرْتُ أن سكان العمارة قد استيقظوا على هذا النواح الذي لا يصمت.

هربت نحو شقتي، وجدت نُهَى تقف أمام الباب، أيقظها المواء، خبطْتُ كتفها لتفسح لي الطريق ولا تسأل عن شيء، بكتفها خربوش صغير، تحسَّسته في غيظ وابتسمت!

لم أنم تلك الليلة، القطط لم تَدَعْ لي فرصة، انْفَلَتُّ من سريري في الصباح نحو الشارع لأتفقَّد الوضع، على السلم سمعت مواء ضعيفًا، يختبئ أسفل درجات السلم، انحنيت ألتقط الصوت الخائف الضعيف، لم تمت!

سقط قلبي جوارها وارتفعت نبضاته، لماذا يتكالبون عليَّ ويقفون ضدي؟! ما الذي يجمعهم للانتقام؟! أنا لم أفعل شيئًا! المخابرات تجند الجميع حتى القطط! لا بدَّ أن قطط كريستين

t.me/qurssan

أحيتها كما فعلت هي مع سعيد، لماذا أفشل في كل شيء حتى في القتل؟!

أمسكت برقبتها فبرزت عيناها واتَّسعت، عيناها قادرتان على إخافتي، تتلونان بأكثر من لون وتبرقان في كل اتجاه، تتسعان لتشملاني، عضلات جسدي تنتفض وتستقيم في قلق، حتى بدأت قوتها تذوب فيتحوَّل خوفي ليقظة واستمتاعٍ، القتل جيد وخصوصًا حين ترى الضعف في عين فريستك، تتغذَّى على قوتها، تثقب قلبها كبالون، فينطفئ نورها تدريجيًّا ليشتعل داخلك، ويصيبك بفرح ومتعة، كأن حياتها انتقلت إليك، فصارت لك حياتان، القتل جيد جدًّا!

تحوَّلت القطة في يدي لقماشة بالية، أصابي القرف من ملمسها وهي مستسلمة لمصيرها، أحضرت كيسًا بلاستيكيًّا غامقًا لأبعدها قدر المستطاع عن يدي، صعدت جريًا إلى أعلى البناية، حيث ألقيتُ بها مطمئنًا أنها لن تعود!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(12)

سِتُّ أرواح تكفي لِلَّهْوِ

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ظللت أيامًا أراقب العجوز كريستين، أعرف مواعيد خروجها لقبض المعاش، زيارتها للكنيسة من حين لآخر، خروجها للمقابر أيام الآحاد، تلصَّصت أكثر فعرفت مواعيد استيقاظها مبكرًا، قيلولتها التي تأخذها بعد الظهر، حبها للجلوس في البلكونة وحولها القطط تقفز وتلعب. كريستين امرأة وحيدة، أبناؤها يعيشون في الخارج ولا يأتون لزيارتها، حتى اتصالاتهم انقطعت، توفي زوجها منذ عامين، من بعده تركت لقططها حرية الإنجاب، كانت قطة في البداية وأصبحت سِتًّا. كل يوم يترك عم صبحي البواب الجرائد أمام الشقة بعد أن يرن الجرس ويرحل، تلك فرصة جيدة للتلكُّؤ على السلم حتى تفتح، بالفعل وجدتني أمامها صاعدًا، كريستين امرأة طيبة يحبها أهل المنطقة، لا تتدخل في شُئون غيرها، كما أنها تقدم المساعدة لأي محتاج، لها أفضال على الجميع، عندما تزوجْتُ صنعَتْ لأمي الطعام الذي قدمناه للأقارب يوم الحِنَّة، يقولون إن لها جذورًا إيطالية، لكنِّي لا أشعر بذلك، هي تشبه جدتي، الجدات الأصيلات، لهن الكلمات والأمثال الشعبية نفسها، عندما وجدتني أمامها رحَّبَتْ بي كثيرًا وأصرت على دخولي الشقة، وجدتها فرصة جيدة لتنفيذ خطتي، أعلم أنه لا يمكنني وضع قنبلة نووية داخل شقة كريستين، لا لصعوبة الحصول على واحدة وزرعها في المكان، إنما لأن بيتها لا يحوي سوى سِتّ قطط فقط، بينما تحيَا القطط في الخارج بأعداد هائلة دون أن تشعر بالفوضى العارمة التي تصنعها في عالم الموتى والأحياء، كان يجب لسعيد أن يموت ويشبع من

t.me/qurssan

الموت، لولا حماقتها! راودتني فكرة مجنونة: ماذا لو قتلت تلك العيون الملونة اللئيمة وخلصت البشرية من شرِّها؟! سَبْع أرواح ستخلصني للأبد من إمكانية عودة سعيد للحياة، روح ماتت، لم يتبق غير ست!

عندما جلست أمام كريستين انكمشت القطط بعيدًا عني، علَّلت ذلك بأنها لم تَعْتَد الغرباء؛ فلا أحد يزورها، رتبت الحديث داخل رأسي: سأخبرك -لأنَّني أحبك- على سِرٍّ، القطط ستقتلك! نعم انظري جيدًا إلى أعينها، مرونة جسدها، قدرتها على إحياء الموتى، لم تمت قطة سعيد من المرة الأولى! كان عليَّ إلقاؤها ثم خنقها ثم إلقاؤها ثانيةً! ماتت بثلاث موتات! تخيَّلي الوضع، ستموتين وحيدة في هذه الشقة، وعندما تجوع قططك المدلَّلة ستأكلك، شاهدت ذلك في أحد الأفلام الوثائقية، لن تنتظر سوى يومين! كل ما تفعلينه لا يساوي سوى يومين قبل التهامك!

لن تصدق إذا بحتُ بما يدور بذهني، وإذا انكشف أمري أمامها ستخشى على قططها مني، الحرب خدعة وأنا في حالة حرب! استجمعت قوتي لأنظر في عينيها مباشرة وأقول:

– أخبارك إيه؟ قططك جميلة أوي! أنا باحِبّ القطط على فكرة.. أوي.

وذهني يردِّد: كيف تتحمل وجودها المقرف؟! عيونها المخيفة ؟ !

t.me/qurssan

– نحمد الرب! هقوم أعملك شاي.

أول كذبة كذبتها على كريستين حول إمكانية تزاوج القطط على سطوح العمارة، أوهمتها أن لي ثلاثة ذكور في سن التزاوج، صدَّقت العجوز السبعينية وأبدت فرحتها، فهي تريد المزيد من القطط، ألقت بجسدها الثقيل فوق الكنبة والقطط في حجرها، بعد أن وضعت لي الشاي. تغوص عيونها اللئيمة في لحم كريستين المترهل، تقفز من ذراعها لصدرها لبطنها لما بين قدميها، انتزعْتُ ثلاث قطط من بين لحمها وسط صرخاتها، بينما كريستين تهدهدها كأم ستترك عيالها مرغمة، أوصتني أن يتم الموضوع خلال يوم واحد فقط. شعرت أن كريستين خائفة، لا أدري هل بَدَا من أمري شيء؟!

لم أقتلها، تركتها فوق السطوح مربوطة بالحبال حتى تتم الخطة دون أن ينتبه أحد، كانت كريستين - لحسن حظي- تترك للقطط حرية التسكع على السلم بعد العصر، ولالتصاقها بها كانت لا تبرح نفس الطابق، تَنَصَّتُ على الباب حتى سمعت مواءً، صعدت للأعلى، فوجدت قطتين أمامي وباب كريستين مغلقًا على غير العادة، لا بدَّ أنها في الكنيسة، وتركت لهما بعض الحرية، دقائق قليلة وأصبحتا في قبضتي غير عابئ بصرخاتهما البشعة، منتهزًا فرصة خروج أمهما العجوز.

صار معي الآن خمس قطط، لا بدَّ من التصرف سريعًا قبل عودة كريستين واكتشاف الأمر!

t.me/qurssan

فوق السطوح بدأت طقوس التحرُّر، دق ناقوس سعادتي مع أجراس الكنيسة ودعوات كريستين التي ستذهب هباءً!

أبانا الذي في السماء ها أنا أتخلص من خوفي، لن يراقبني أحد بعد اليوم، لن يرعبني شبح في شارع مظلم، سأخلص البشرية من الشرير، أبانا الذي في السماء سامحني، المُخَلِّصُون دومًا قساة، لكنك تعلم أنَّني لست كذلك، أنا خائف جدًّا، وهناك آلاف الخائفين مثلي، وأنت لا يرضيك أن يموت خراف الرب خوفًا، لن أترك عيونها الحادة الملونة توقظني، أبانا الذي في السماء أنا لا أنام، لن أنام حتى تنطفئ عيونها للأبد!

توقفت أجراس الكنيسة ودقت بعدها خمس دقات عالية من عمارتنا؛ دقة، اثنتين، ثلاثًا، أربعًا، خمسَ دقات من الأعلى للأسفل! يتهادى الجسد، تشده الجاذبية بقوة خاطفة ثم دماء على الأسفلت حتى ينقطع المواء!

- أبانا الذي في السماء لقد تحققت مشيئتك!

اجتمع الجالسون في المقهى على إِثْر الدقات الخمس حول باب العمارة، وهم يضربون كفًّا بكف! هربت سريعًا إلى داخل الشقة قبل أن ترتفع عيونهم للأعلى، رمقتني أُمِّي بنظرة شك حين دخلت من باب الشقة كأنها رأتني، تواريت من نظراتها داخل الحَمَّامِ، أصابني القرف، فرائحة القطط تلتصق بي، رائحة الخوف والموت! غسلت يدي أكثر من مرة، عندما خرجت كانت

t.me/qurssan

نظرات أمي تحدجني: «عملت إيه تاني؟!» أزحتها عن طريقي فلم تحتمل نكزتي، سقطت على الأرض، فكَّرت في مساعدتها لتنهض لكنِّي تركتها تحاول لملمة جسدها من الأرض!

عادت كريستين من الكنيسة تحمل قطتها السادسة بين ذراعيها، فوجئت بقططها أمام العمارة قتلى، أمسكت بقلبها! وكادت تسقط لولا الجيران الذين ساعدوها!

في شقتها كان هناك الكثير من الهرج؛ أكواب من الماء بالسكر، نصائح ببعض المخللات، حديث عن قياس الضغط ونوبة القلب، وأسئلة حول استشارة الطبيب، والاتصال بالمستشفى، صعدت أمي إليها وشاركتهم الحديث.

ظلت كريستين تتشبث في القطة الوحيدة الباقية، كأنها كل ما تبقى لها، تنظر إليها وتبكي، تتذكر زوجها الذي تركها بعد أربعين سنة من الزواج ليموت وحده بكلمات متفرقة، تخرج من شفتين متعبتين من الدنيا، تخبر الجميع أنه كان أنانيًّا في الموت، والأولاد مثله لا تعرف عنهم شيئًا، هم أيضًا موتى في بلادهم البعيدة، فللموت أوجه عِدَّة! ظلَّت تتحدث عن خسائرها حتى غابت في النوم، وقتها انفلَتَت الأخيرة من بين ذراعها، كنت مختبئًا على السلم في انتظار خروجها وخوفها من التجمُّع الذي لم تَعْتَدْه، بالفعل تم ما توقعته، وقبل أن تتحرك على السلم بحثًا عن أخواتها، صارت في قبضتي، أخذتُها سريعًا إلى السطوح قبل أن يشعر أحد من العمارة منتهزًا توهان كريستين من الصدمة.

t.me/qurssan

انتظرت قليلًا لأتأكَّد من نوم الجميع، اعتدت الخطوات تمامًا، تلك القطة هي الأصغر سِنًّا، وهذا ما جعلها لصيقة كريستين في كل أوقاتها.

دَقَّة سادسة جعلت ثورتي تهدأ! لكن ثورة أخرى اشتعلت ولم تجد من يطفئها، لم يستيقظ أحد لتلك الدقة سوى كريستين، وجدتها تنتظرني على السلم، عندما رأيتها لملمت ثيابي وحاولت التفكير في تبرير، لكنها لم تستيقظ لتتكلم، أمسكَتْ رقبتي بجنون، تبرق عيناها كقطة، قطة سبعينية ضخمة، سقطت فوقي، تضرب وجهي بأظافرها الطويلة، تخربش جلدي وتغرس فيه أنيابها، تبصق على وجهي بكلمات قاسية، تسبُّني وتبكي، قالت عني: مجرم، قاتل، مجنون! سألتني عن السبب الذي جعلني أُدَمِّر حياتها بتلك الطريقة، وَدَدْتُ لو أخبرتها أنها خُدِعَت! وأن المخابرات تستخدم قططها للتجسس عليَّ! قططها تحيي الموتى! وفي ذلك خطر على البشرية!

الأشباح تملأ دماغي بأصواتها، تتجول في الشوارع، لا بدَّ من أحد يتصدَّى لها، لكنها لم تترك لي فرصة للتحدُّث؛ كانت محتقنة، غاضبة، ثقيلة، ترتعش فوقي من صعوبة الموقف، الجهل يحوِّل الإنسان لشخص آخر! أين كريستين الوديعة الهادئة؟! صارت عيناها تبرق مثل قططها المتوحشة، لها نفس رائحتها القذرة، رائحة القطط الممتزجة بلعابها، تلعقها ليل نهار، أين ذهبت كريستين التي يحبها الجميع، وأنا معهم!

t.me/qurssan

شعرت بالقرف من جسدها الملتصق بجسدي، ويديها الضعيفتين اللتين تتطوقان رقبتي، أيقنت أن صوتها قادر على إيقاظ الجميع، وقتها سيتعقد الموقف ولن يصدقوني! أزحتها بقوة عن جسدي، فارتطمت رأسها بالحائط، في ذلك الوقت جريت كفأر استطاع أن يفلت من مصيدة، خرجت من العمارة، سأتجوَّل قليلًا في الشوارع حتى تهدأ تلك المجنونة!

t.me/qurssan

مشهد رقم (0):

في محل الأثاث كان كل شيء يمر باعتيادية؛ مبارزات البيع والشراء ومحاولة اقتناص فرصة للفوز، مع الالتزام بالقانون السائد الذي يجعل البائع لا يخسر أبدًا، والزبون دائمًا على حق، ما يتبارزون حوله هو ألَّا يكسب التاجر كثيرًا، كنت (أتفرج)، هل خلقت المرآة (لشغلة) أخرى؟! لا أظن! ربما خلقت أيضًا للانتظار، الانتظار الأبدي! أنتظر صاحب المحل صباحًا وأبناءه الذين يأتون تباعًا، أنتظر الزبائن، يزداد توافدهم مع أفول اليوم، ثم أنتظر يومًا آخر يأتي على مهل، كدت أشتاق للدراما رغم كرهي إياها، فكرهي للملل أكبر! الدراما أحيانًا تخبز بعض البهجة وتقتل الوقت. قلت للفتاة التي تعمل في المحل المجاور -اثنتي عشرة ساعة متصلة- أن هناك حمَّامًا داخل محل الأثاث، وذلك أفضل من دخول حَمَّامِ المقهى، وأن تخبر فتاة بِسِرٍّ يعني أنك أخبرت جميع الفتيات! بدأ توافدهن يزداد تدريجيًّا مع كلمات قليلة للاستئذان، يحملقن بداخلي وهن يمرُرْن سريعًا أمام صاحب المحل كعرض أزياء رخيص أغلبه مستعمل حتى الثمالة.

قلت لصاحب المحل الذي يتدلى كرشه كأثداء بقرة حقُّك أربعة زوجات، لكن زوجتك صاحبة رأس المال الذي كان ملكًا لأبيها شريكتك في كل شيء الآن؛ المحل، والمصنع، ولولا وجودها لما أصبحْتَ (معلم قد الدنيا) وغضبها عليك لا يجوز، والميل

t.me/qurssan

كل الميل لواحدة لا يجوز أيضًا، فرك الحاج ذقنه التي يربيها ليخفي ثدييه، وقال: كل شيء ممكن بلا عقَدٍ أو مشاكل، كل شيء ممكن ببعض الأموال! تبدأ الخطة بسؤال عن الصحة والحال، ثم استفسار عن الاسم، ثم تلميحات بالإعجاب؛ لمسة، اثنتين، ثلاثًا عن غير قصد، لمسة، اثنتين، ثلاثًا عن قصد، لمسة، اثنتين، ثلاثًا عن تواطؤ واتفاق! ثم يضع الحاج لافتة «مغلق للصلاة» ويغلق معها باب معصية زوجته وباب الحَمَّامِ أيضًا.

اللمسات الثلاث تأتي بموبايل جديد، وبعض الفكة، والبقاء في الحَمَّامِ مدة أطول مع الحاج تُزيد الهدايا.

قَلَّ عدد الوافدات مع انتشار الأحاديث لكنهن لم ينقطعن، كل يومين تدخل واحدة وهي تتصنَّع أنها لا تعرف شيئًا، مما يثير إعجاب الحاج ويُشعِل جنونه نحوها، ذلك التمنُّع المحبَّب لسيطرته وسطوته. أشاهد من بعيد، وأهمس لهن ببعض الشتائم التي ستقال في الخارج، لكن دراما من التي أحبَّها لم تحدث، فزوجته المغفلة ماكثة في المنزل ولم تَعُدْ تهتم، حتى امتزاج رائحة زوجها بروائح رخيصة تم شراؤها من باعة الرصيف لم يلفت انتباهها، والفتيات صغيرات يتمرَّدن أحيانًا في صمت، كتلك التي بصقت على انعكاس وجهها بداخلي قبل أن تغادر ببعض الفكة ولا تعود ثانية!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(13)

رجلُ المرآة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

بعد قصة كريستين قرَّرت البقاء في حجرتي، لا أخرج منها سوى لدخول الحَمَّامِ، بقيت مختبئًا بعيدًا عن عينيها الملونتين ورائحة القطط بجلدها، أتذكر هيئتها بشعر منتصب وحدقتين مفتوحتين عن آخرهما، شعر بُنِّي أشعث، أسمع صوتها مجلجلًا بالشتائم التي رمتني بها، وأرى نفسي مذعورًا في قبضتها، وهي قطة ضخمة عجوز تطبق على أنفاسي!

بقيت مستلقيًا على السرير، لا أريد أن أفعل شيئًا في هذه الدنيا سوى البقاء هكذا، لا أريد أن أتحرك، أن أرى، أن أسمع، أن أهمس، أن آكل، لا أريد دخول الحَمَّامِ، أو حلق ذقني، أريد لحواسي أن تتعطَّل وتكفَّ عن مهامها الروتينية، أن تبقي صامتة للأبد، ألقيت نظرة على المرآة فرأيت ذقنًا تكاد تقترب من صدري، وشعر «منكوش»، أغلقت الحجرة بالمفتاح حتى لا تزعجني تَطَفُّلات زوجتي وأمي، وتوسُّلاتهما لي للخروج كأنَّني في سجن. لماذا لا يفهمان أنَّني لا أشعر بالأمان خارج تلك الحجرة؟!

ضربَتْ نُهَى الباب حتى أوجعتها يدها، وفي النهاية قالت بصوت عصبي:

– برده مش عايز تخرج، أديك اتفصلت من الشركة! مبسوط دلوقتي؟! هناكل منين؟!

وضعت يدي في جيبي فلم أجد أموالًا، قلت:

– لا يهم!

t.me/qurssan

تركت سريري وتسمَّرتُ أمام المرآة، حتى لو أردت الخروج لن أستطيع، كيف سأحلق شعري وذقني بلا حلاق يطلب مالًا؟! كيف سأركب مواصلات لأنتقل من مكان لآخر؟! كيف سأزاول حياة دون امتلاك مفرداتها؟! كَأَنْ أبدأ حوارًا مع شخص في الشارع لأساله عن الطريق، وحين يومئ لي إيماءة لا معنى لها لا أسبه، أو حين يوصلني إلى حائط سد لا أعود إليه لأقتص منه، وأن أستيقظ مبكرًا كل يوم للذهاب إلى العمل، وألتزم بالابتسام في وجه الزملاء متجاهلًا رائحتهم الكريهة كأنَّني لا أشمها، وأمتثل لأوامر مديري بِوُدٍّ مبالغ فيه كأنَّني لا أعرف أنه يكرهني، وألَّا أُفكِّر في أمور بديهية كالأشباح التي تطاردني، والقطط التي تفسد العالم، لا أسأل متى تهشم المصباح في الشارع؟! وكيف صارت الأزقة مظلمة لهذا الحد؟! والأصوات عالية تصل إلى السماء؟! متى انفجرت القنبلة النووية أمام عيني ليصبح الوجود حولي ضبابيًّا غائمًا، وأصبح أنا باتِّساع مخي وجودًا يعاني قنبلة نووية وقطة!

من المفترض أن أصبح مع الوقت غبيًّا كالسائرين حولي! لا أحد يلوم شخصًا على غبائه، لا يقولون ما بك أيها الغبي؟! فتحت الدولاب أفتش عن أية أموال تركتها نُهَى للزمن، فلم أجد، حتى الغباء لن أفلح فيه، «أنا مش فالح في حاجة يا سعيد!» فليس معي أموال لأصبح غنيًّا غبيًّا! ولا شهادة لأصبح عالمـًا غبيًّا! ولا أهل وعزوة لأصبح كبير الأغبياء في العائلة الكريمة الغبية!

t.me/qurssan

سمعت المرآة تقول:

– بَطَّل حجج فارغة وفلسفة، أنت فاكر نفسك بتفهم؟! استرجل بقا، بنتك هتموت من الجوع!

– بُكرة كلنا هنموت من الجوع!

لماذا تُصِرُّ كل الأشياء حولي على تأنيبي، نظرت للمرآة التي تتمرَّد عليَّ بغيظ وتذكرت نُهَى عارية على التسريحة والمرآة تهمس في أذنها، تترك مكانها الثابت وتتحرك بيدين ورجلين من زجاج، تلمس نُهَى وتستبيح عُرْيَـها كفتاة ليل وقعت في يد ذئب زجاجي على شاكلة الأفلام الهندية، لكنها كانت سعيدة بلحظة اغتصابها للأسف! لماذا لا تسعدني الأفلام الهندية؟! لماذا لا أحبها؟! أبطالها خارقون لا يموتون! والحب مقدس وأبدي! والخير ينتصر! والأشرار يسجنون! والسلام يسود! النهايات سعيدة ومرتبة! ليست هناك تناقضات داخل شخصياتها أو حروب! الأمور أكثر بساطة مما تبدو! لماذا أعيش دومًا في حرب وأنا بداخلها مجرم حرب وأسير؟! حرب بلا تفسير منطقي، ولا هدف منطقي، ولا أطراف حياديين نزهاء، الأطراف كلها تتَّفق في تواطؤ على استمرارية المعركة مهما كانت النهايات، لن تكون سعيدة على كل حال! ربما لا أحب تلك الأفلام؛ لأنَّني سأكون داخل حسبة الأشرار، في تلك الأفلام ليس هناك مكان لأمثالي، أنا شخص سيِّئ، وإذا اعتقدنا أنَّني شخص سيِّئ فمعناه أنَّني سأظهر على الشاشة بشكل سيِّئ جدًّا مبالغ فيه، وقد أبدو أخرقَ ليكرهني

t.me/qurssan

الناس، البطولة خُلِقت للأخيار، لن يلتمسوا لي العذر في قتل سعيد، كما سيقولون عن القطط إنها كائنات لطيفة، ويطلبون رقبتي مقابل ما فعلته بحق الكائنات البريئة التي لا ذنب لها! أسمع صوت المرآة عاليًا يقطع أفكاري ويصرخ في أُذُنَي نُهَى:

– جوزك مريض مش هيقدر يِسعِدِك، أنا رجل المرآة قادر أعوضك، أنا انعكاسك الذكوري، نفسك اللي مش هتتكسفي منها، ضِلّك من غير انحناءات ملموسة، ضِلّك المستقيم اللي هيقف جمبك لما يستدعي الأمر.

امتلأ صدري غضبًا وشعرت أن المرآة تغدر بي، تُمَرِّن نُهَى على الاستغناء عَنِّي تدريجيًّا، لن أتحمل هجرها. فتحت الباب وناديت عليها، حين دخلت الحجرة كانت قلقة تتلفت يمينًا ويسارًا، تنظر للمرآة بنظرات جانبية خفية، كأنَّني لن أراها، تأكدت من خيانتها، حاولت طمأنتها بنبرة هادئة مصطنعة، وأنا أخلع عنها ثيابها التي انفلتت بسهولة، كانت تخفي جسدها عنِّي، يقول جسدها المشبع بالخربشات: لا أريدك! أقرأ لغة جسدها جيدًا، الخربشات تصنع طُرُقًا تتشابك وحروفًا، حاولت فك تشابكها لكن جسدها تحجر بين يدي كصنم، تحجُّرها جعل عضلاتي تتيبَّس ثم تهدأ، كأنها زائدة عنِّي بلا فائدة، نظرت للمرآة في غيظ، كلما حاولت أن أستعرض فحولتي فشلت كطفل، ونُهَى تتواطأ مع المرآة ضدي! مفتاح جسدي بيدها، تحجُّرها كتمثال جميل يجعلني هادئًا كالثلج، كيف كرهتني نُهَى إلى هذا الحد؟!

t.me/qurssan

- عايز تبيِّن أنك راجل أوي؟!
- راجل ونص، تحبي أوريكي!

قسوت على جسد نُهَى الصخري ليذوب، ثم أثارني ذوبانها الرملي، واعتلت وجهي حرارة واشتعالًا، وقف جسدي صُلبًا يستعِدُّ للغوص في الرمال الباردة فيلهبها بحموته التي لم تشتعل منذ زمن، حين لامست ناري برد جسدها تلوَّن وتشكل لتبدو نُهَى أمامي بلورية، زجاجية، شفافة، تعكس وجهي هائجًا على صفحة وجهها، قلت لنفسي: لماذا أبدو عصبيًا بهذا الشكل؟! ورأيت نفسي على سطحها العاكس أحمل جسدها الغض ووجهي الذكوري الغاضب، خليط عجيب من جسدي وجسدها، لأبدو امرأة بوجه رجل وتبدو هي رجلًا بجسد أنثوي، نظرت إلى صفحة وجهها الذي يرتسم عليه وجهي وسألت: كيف صارت نُهَى مرآة، وصارت المرآة نُهَى؟! كيف سأُقَبِّلُ وجهي؟! والأسوأ من ذلك: كيف سأخرق جسدي الذي صار جسدها؟!

- هو أنت فاكر أنك هتعمل حاجة، بلا خيبة!
- اخرسي لأقتِلِك!
- طب بذمتك، في راجل بجد يقول لِستّ بتقوله أدفيك متشكر؟! هي كانت بتعزم عليك بكوباية ميَّه؟!
- راجل غصبن عنك!
- لو الرجالة كلهم زيك كنا رجمناكم في ميدان عام!

t.me/qurssan

– ...! يا بت الـ...!

– هتموت عطشان يا بخيل!

لم أحتمل سبتها، كل شيء حدث بعد ذلك بسرعة خاطفة، وجدت نفسي على الأرض، ونُهَى عارية تطوقها يد أمي، لا أعرف كيف دخلت؟! ولا متى؟! تصرخ نُهَى وتسبني، وجسدها يتشرب الكدمات على مهل، أرى صوتها ضعيفًا له شفة تنزف، ورقبة انطبعت عليها أصابع كثيرة، وعينان تسقيان وجهها الأزرق بالدمع، فيتحول إلى لون باهت، يتحرك صوتها في الحجرة بحرية، تاركًا جسدها العاري الذي تحاول أمي تغطيته دون أن تسرق منه نظرة، يتحرك الصوت المجسَّم الحر ليطبق على رقبتي!

– اللي زيك لازم يموتوا وهما بيقولوا متشكرين!

نظرت إلى الجرح الذي ينزف من يدي، وإلى رقبتي المتشنجة، حاولت فهم ما يحدث، تركت الأرض ونظرت إلى المرآة، رأيت وجهي متكسرًا إلى قطع صغيرة بلورية، وكذلك وجه نُهَى. سألت: من الذي كان يكلمني نُهَى أم المرآة؟!

دفعتني أمي خارج الحجرة وهي تحاول تهدئتها، كأن خروجي سيحل أزمتها! جسدي لا يزال واقفًا صلبًا لم يهدأ بعد.

انطلقت في الشوارع بجسد غاضب، تكسَّرت المرآة، وتكسَّر معها جزء من روحي، فقدت نافذتي على العالم، لن أرى شيئًا مما

t.me/qurssan

يحدث في غيابي بعد اليوم، والمسافة بيني وبين نُهَى ستطول أكثر بعد ما حدث. سألت نفسي ما الذي حدث؟! كيف احتال جسد نُهَى إلى كدمات وجروح؟! هل آذيت الإنسانة الوحيدة التي أحبها؟! كيف تكسرت المرآة على جسدها، هل فعلها رجل المرآة ليجعلني متهمًا أمامهم؟! استفزني بتشكيكه في رجولتي ليوقعني في الحفرة التي حفرها لي، لكن رجل المرآة هو أنا؟! بطريقة معقدة صارت المرآة أنا! صارت المرآة ذكرًا يناطحني في مبارزة ديوك غير متكافئة، بدلًا من أن يخدمني، يستخدم روحي لتدميري، يستخدم «أناي» ضدي، فزت في النهاية على كل حال!

هبطت كآبة على صدري، وتذكرت وجه نُهَى مذعورًا يقول: «مابك أيها المجنون؟!» يشبه وجه سعيد وقت غرست سكيني داخله، دفعت نُهَى الثمن! كيف ستسامحني وتصدق ما حدث؟!

جلست على الرصيف أحاول النسيان، والتفكير في شيء آخر، لن أستسلم لتلك الكآبة التي تطوقني، نظرت إلى جسدي لا يزال هائجًا، قلت: لن يهدأ حتى يقابل زوجة سعيد!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(14)

حكاية تخجل المرآة من حكيها!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ظللت تائهًا لساعات طويلة بعد أن قرَّرتُ الذهاب لرؤية زوجة سعيد، وبينما أنا حبيس شوارع لا أعرفها ظهرت أمامي زوجة سعيد، تتبختر على الرصيف، تقول بثقة: من مثلي أنا؟! تنادي بصوت يتردَّد في الصدى: تعال! أهرول نحوها؛ فتنفلت مني وتضحك! فيثور جسدي الصلب ولا يرتخي، تموء بنظرات تقتلني وسط سحب من الغبار، ترتدي قميصًا أزرق بلون السماء، كنت مثقلًا بحكاية نُهَى وكريستين، وموجوعًا من نفسي، لن يخفف أوجاعي سوى امرأة ملكة تعتلي عرش السماء بقميص نوم أزرق.

– دفيني أنا بردان!

– وأنا حرانة!

فوجئت بها تخلع ملابسها لتصبح عارية تمامًا، تستلقي على الرصيف وتتمدَّد عليه، تتحسَّس ملمسه الخشن على جسدها الطري، يداعبها ببعض طوبه الصغير الذي يحفر لحمها وينغرس بداخله!

– في الشارع؟!

– عادي إحنا ما بنعملش حاجة نتكسف منها!

– هيتفرجوا علينا!

– ما هُمَّا بيتفرجوا على طول.

تمدَّدتُ جوارها وأنا أحمل هَمَّ الوجود في الشارع، لكنِّي نسيت كل شيء حين بدأت تخلع عَنِّي ثيابي، جسدي مُتَّقِدٌ كأن شمسًا

t.me/qurssan

أشرقت داخله، اندمجت مع سمائها الرحبة، يشدني الأزرق نحو المجهول، صرخْتُ حين التقى بركاني بجذوة اشتعاله الكوني، مكمنه المخبَّأ داخلها، كأنَّني أنا وهي خلقنا من أرض واحدة، نقذف حِمَمًا واحدة على رصيف الشارع، توأمان افترقا لسنوات وعادا لأصلهما، مخبَّئان عن العالم بسحب وشموس.

وبينما كنت أهذي بنشوة الفرح العارم، أستمتع بوجعي الرائع، يسترخي جسدي من فورانه، صفعتني يد على وجهي، ارتبكت وانتفضتُ واقفًا، توالت على جسدي الركلات والصفعات، سمعتهم يقولون:

- مع قطة يا نجس!

لم أفهم، ولم تكن هناك فرصة للفهم وسط ضرباتهم المتلاحقة، وبين كل ضربة وأخرى أتلقى سبة أسوأ من التي سبقتها، نظرت إلى رجولتي المهدرة على الأرض عارية تبكي، كمن فوجئ بهذا الفعل المشين من المارِّين في الشارع، لم يكن أمامي فرصة للدفاع عن توأمتي المحبَّبة، خذلتها كما خذلْتُ كل من أحبهم، خذلتُها أولًا حين قتلت سعيدًا زوجها، وها أنا أخذلها ثانية، كنت خائفًا! والأصح أن أقول إنَّني كنت نذلًا وجبانًا، تركت أقدامي للريح تأخذني إلى البيت، حين تلفَّتُّ للخلف، وجدتهم يمسكون بها، يرفعون جسدها عن الأرض، وقفتْ في وضع استعداد بشعر منتصب وعينين غاضبتين وأسنان تَوَدُّ لو تنغرس في أجسادهم، هي (أرجل) مني بلا شك!

t.me/qurssan

هدأت ثورتهم لرؤيتها، وتوقَّف مطر السباب الذي أمطرني منذ قليل، ظلُّوا واقفين يحاولون تهدئتها وهم يربتون على ظهرها العاري، استحالت بين أيديهم هادئة وديعة، تنظر إليَّ بمكر وتبتسم وهي تهزُّ ذيلها في هدوء!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(15)

كريستين قطة سبعينية ضخمة.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

البيت أشبه ببقايا عالم هدأ بعد إعصار مدمر؛ أمي تنتظرني لتبخ في وجهي سم كلماتها:

– أنا ظلمتها مرة لما خبيت عليها أنك تعبان، كان عندي أمل تخف لما حياتك تستقر، بس أنا ما ليش عين أظلمها تاني، لو مش هتروح للدكتور يبقي تطلقها!

قلت باستسلام:

– فين نُهَى؟!

– كانت عايزة تروح لأهلها بس أنا حلفت عليها إنها ما تمشيش بالليل، هي في أوضة الأنترية وقافلة على نفسها.

– خايفة مني؟!

لم تُجِب وتركتني ودخلت حجرتها لتغلق الباب عليها بالمفتاح أيضًا! أغلقتُ عيني وبلعتُ ريقي مُرًّا، صرت مستسلمًا لفكرة الذهاب إلى الطبيب إن كان ذلك سيريحهم، جسدي يَئِنُّ من الركلات المطبوعة عليه، ووجهي مُهَان بصفعات حامية، كل جزء بداخلي يؤلمني، الأرق الذي ينغِّص نومي، ونُهَى التي ظلمتها معي، حتى أمي أشفقتُ عليها لأول مرة حين أغلقتْ على نفسها الحجرة، حين رأيت الخوف في عينيها من طفلها الوحيد، سألت نفسي: ماذا فعلت أمي معي؟! وضعتْ لي السم! ووضعتُ لها الخوف، نحن متعادلان الآن! هل صرت وحشًا بجسد إنساني؟! لن تحتاج الأفلام الهندية الكثير لأصبح سيِّئًا جدًّا، أنا سيِّئ جدًّا بالفعل دون أي مجهود.

t.me/qurssan

خبطت الباب الذي يفصلني عن نُهَى وقلت بصوت حانٍ:

- أنا آسف!
- ...!
- ما كنتش أقصد أأذيكي!
- ...!
- طب رُدِّي عليَّا، قولي أي حاجة.
- مش عايزة أسمع صوتك!

تركت دقَّاتي على الباب تتوسل إليها، كنت وحيدًا في عالم خَرِب، الحجرة مبعثرة، السرير مقلوب، المرآة مكسورة إلى قطع زجاجية صغيرة تملأ أرضية الحجرة، والإضاءة تتلاعب بأعصابي، لماذا يبدو العالم مغبرًا باهتًا قاسيًا؟! وأبدو أنا الناجي الوحيد الذي بقى!

ألقيت جسدي المتعب على السرير تاركًا الفوضى على حالها، ونمت كمدًا، لم أستيقظ إلا على إعصار آخر يُنهِي كل ما تبقَّى! صرخة عالية! ثم خبطة هزت الأرض من تحت أرجلنا! ارتعدنا واقفين! خرجت أمي مفزوعة تنظر إليَّ لكنها اطمأنت قليلًا حين أدركت أنَّني كنت نائمًا ولم أتسبَّب في مصيبة جديدة، قفزت عيوننا من النوافذ، شاهدت كريستين منبطحة على الأرض أمام مدخل العمارة غارقة في دمها! ارتعبت لهيئتها بجسدها الضخم وجلدها الأبيض الناصع الذي تلوَّث! قالوا إنهم رأوها تعتلي

t.me/qurssan

سطوح العمارة وتُلقِي بنفسها من الأعلى، تتهادَى مع الجاذبية التي كانت حنونة عليها ولم تتركها تتعذَّب في قبضة الموت، قَضَتْ عليها في لحظتها!

سَقَطْتُ على الأرض من المفاجأة والرعب! ماتت كريستين! مَيِّتٌ آخر! وأنا السبب! لقد كنت أحبها!

لم يكن هناك وقت لتدارك الموقف، يهتز باب المنزل بخبطات غاضبة، تعالت صيحات أهل المنطقة وسمعت اسمي يُقال بغضب وغيظ، خرجت أمي وأغلقت باب الشقة خلفها لتتفاهم معهم وتمنعهم من اقتحام المنزل، خرجت نُهَى من حجرة الأنتريه، عندما رأيتها ارتميت في حضنها أبكي:

- أنا قتلت كريستين!

بكت هي أيضًا وعَلَا نشيجنا يشق السماء، بينما تَكِيل أمي الكلمات- والسباب أحيانًا- لأهل المنطقة في مبارزة قوية خاسرة، ستخسر أمي بالتأكيد، الكثرة تغلب الشجاعة وهم كثيرون غاضبون يريدون قتلي، وأمي وحيدة تُقْسِم ألَّا يمرُّون سوى على جسدها أولًا، يقولون إنهم رأوني ممسكًا بالقطط قبل الحادث، فتخبرهم أنها مصادفة، يقول لها عم علي إنَّني أمشي في الشوارع عاريًا فجرًا، فتحدجه أمي وتقول: أنت كبرت وخرفت، مين ده اللي عريان؟! يقولون: هي كلمة واحدة، لو مش هيمشي من المنطقة من سكات هندبحه قدامك، دم الست الطيبة مش هيروح

t.me/qurssan

هدر، لو معندهاش ولاد يجيبوا حقها، إحنا ولادها. صمتت أمي وتحدثت بصوت منخفض كمن يحاول تفادي الموجة العالية التي ستَذهب بكل شيء.

كنت مرعوبًا من الفوضى التي تطوِّق الباب، كأننا معتقلون بلا محاكمة، رأيتهم في عقلي يسحبونني ويسحلونني في الشارع حتى محل الجزارة، ثم يأتي الجزار فيسمي الله: «بسم الله، الله أكبر»، ويبدأ نَحْر رقبتي وعلى وجهه ابتسامة! بينما يقوم أطفال الشارع بالصراخ والتهليل، ومحاولة لمس جسدي بأيديهم، ومع انفجار الدم من الوريد، ينسال ماء دافئ من أسفل مني، يخلِّصني من آخر ألم كنت أشعر به، لأحس راحة العبور إلى الموت دون أي منغِّص.

– ماتسبنيش أرجوكِ، أرجوكِ يا نُهَى، هيقتلوني النهاردة، هقابل كريستين زي ما قابلت سعيد، أنا مش خايف من الموت، بس مش عايز أقابل كريستين!

وتخيلت كريستين ملفوفة بملاءة ملونة مُتَّسخة بدمها، وأنا واقف عند قدميها، تنفض عنها الغطاء وتكشر في وجهي بمخالب كبيرة وشعر بُنِّي منتصب، وذيل يتحرك كالبندول في غضب.

أحست نُهَى بالبلل الذي أصاب بنطالي، فانفجرت في بكاء مكتوم، لا أعرف هل كانت تبكي من أجلي؟! أم تبكي على حالها؟! لا يهم! لقد رأيتها لأول مرة تحبني منذ زمن.

t.me/qurssan

– أنا معاك مش هسيبك أبدًا! كل حاجة هتصلح، بس أوعدني نروح للدكتور!

– هو أنا تعبان يا نُهَى؟!

– آه، تعبان أوي!

– أنتِ بتحبيني؟!

– طبعًا بحبَّك، وما قدرش أشوفك كده!

ساد صمت فوق رؤوسنا فقطعته نُهَى بتعجب:

– أنت عندك شك؟!

– ودُّوني في أي مكان لو ده هيريحكم!

أومأتُ باستسلام، سمعتُ سرينة الإسعاف، تركت نُهَى ونظرت للأسفل؛ رأيت جسد كريستين يبدو من الأعلى تَبَّة عالية تتضخَّم، وحين أمعنت النظر وجدت تضخم الجثة سببه مئات القطط التي تجمَّعت حول جسدها، كنت أعلم أن القطط تُحْيِيها الآن، وأن كريستين ستعود لتنتقم، المواء يعلو مهدِّدًا، وكريستين مع الوقت ستستحيل قطة سبعينية ضخمة قادرة على قتل فأر صغير بنظرة واحدة!

أدخلتني نُهَى من الشباك حتى لا تثير هيئتي سكان الشارع، أنا بالنسبة إليهم قتلت كريستين، وأي تصرف لا يحترم الموقف سيعتبرونه إهانة لرجولتهم التي لم تأخذ حق كريستين بعد.

t.me/qurssan

سمعت أمي على السلم تبكي وهي تستعطفهم، أمي لا تبكي بسهولة، صِرْتُ أعلم أن هذا هو جدارها الأخير، سقوطه يعني موتي.

ألقيت نظرة أخرى على الشارع دون أن يقفز رأسي من النافذة، لم أجد كريستين! اختفى جسدها! لم أجد سوى القطط تتفقَّد المكان، وتلعق بقايا الدم، صارت حية الآن تبحث عَنِّي!

من حسن الحظ أن هناك أكثر من شخص رأى كريستين قبل أن تُلْقِي بنفسها، ومن حسن الحظ أيضًا أن أحدًا منهم لم يقل أن هناك من دفع كريستين ليقتلها.

دخلت أمي إلى الشقة بعد هدوء العاصفة منهكة تائهة صارمة، لم تتخيل يومًا أن تقف في مثل هذا الموقف، قالت بجمود غير قابل للنقاش:

– حضري لجوزك هدوم وحاجات شخصية عشان هنمشي.

– هنروح فين؟!

– مستشفى ...!

قلت متعجبًا:

– بتاعة المجانين؟!

– أيوه! ما فيش حل تاني، دي الحاجة الوحيدة اللي سكِّتِتْهم، لو ما روحتش هيقتلوك!

t.me/qurssan

- بس أنا مش مجنون! مش مجنون!
- ده مش وقت كلام، حضر نفسك بسرعة!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(16)

استقبال لا يرحب بالزائرين.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

تحركنا أنا وأمي ونُهَى نسرع الخطى وسط الجمع الذي يرقبنا، موسومون بعارٍ لا أفهمه، كأننا ذاهبون لتنفيذ حكم صدر ضدنا، حكم يُثبِت أنَّنا مذنبون وعلينا أن نشعر بالندم، أخفيت رأسي داخل صدري، كنت مهزومًا في حرب لم أَسْعَ لخوضها، لكنِّي سأتحمَّل نتائجها حتى النهاية، ظننْتُ كذبًا أنَّني الناجي الوحيد في هذا العالم الخرِب، والحقيقة أنهم جميعًا نَجوا سواي، الآن يتكالبون على خدمة كريستين الميتة، بينما تركوا كريستين الحية تُعَوِّض غيابهم بست قطط! ربما أدركت كريستين الحقيقة، أدركت أن القطط قادرة على إحيائها والبشر لا!

في شارع المستشفى بدا كل شيء هادئًا كأنَّنا داخل صحراء، أدركت وقتها أن الحكم الذي صدر ضدي هو النفي.

مَرَرْنا بطرقة الاستقبال، هناك وجدنا الطبيبة، تستند على مكتب قديم، سلمت عليها أمي بطريقة ودودة، ثم بدأ الحديث عَنِّي كأنَّني غير موجود!

– رجعتله النوبة تاني، بس المرة دي أشد بكتير، المرة اللي فاتت فاق بسرعة، ولما بِعِد عن المدينة الجامعية الدنيا استقرت.

– معاكِ الروشتة بتاعته.

– اللي حضرتِك كتبتيها آخر مرة؟

– آه.

t.me/qurssan

– اتفضَّلي.

– أنا ممكن أزوِّد له نوع كمان ويكمل علاجه في البيت، أنا شايفاه هادي مش محتاج حجز.

أَلْقَت نظرة سريعة عليَّ كَمَنْ يعاين بضاعة:

– لا، أبوس إيدك! مش هينفع البيت خالص! النهاردة هاج وبهدل مراته وأهل الحارة هيقتلوه لو رجع!

– بس أنا معنديش أماكن للحجز النهاردة، بكرة الصبح في حالات أكيد هتخرج، ممكن تروحي دلوقتي بيه وتيجي الصبح بدري، بإذن الله هدخَّله.

– ما ينفعش يرجع، هيقتلوه!

– يعني إيه يقتلوه؟! هما متخلفين؟! ده مريض لازم يتاخد بالراحة، أستغفر الله العظيم، وبعدين هو إحنا عايشين فين؟!

– طب نِبَات في أي حتة النهاردة إن شالله على الأرض في المستشفى!

– خلاص ممكن تستنوا في الاستقبال للصبح.

سألت نفسي: هل كانت تلك المحادثة عنِّي؟! نوبة! روشتة! حجز! هل أتيت إلى هنا من قبل؟! هل خدعتني أمي حين أخبرتني أن هذا قرار أهل الحارة وليس قرارها، يبدو أن كل شيء كان مرتَّبًا، فعلتها ثانية!

t.me/qurssan

في تلك اللحظة تمنيت لقلبي أن يتعطَّل، تمنَّيت أن أُلقِي بنفسي جوار كريستين، أتهادى ببطء مع الهواء، بالتأكيد سيقفون جواري بعد الموت، ويذكرون محاسن موتاهم، ويساعدون أمي في أمور الدفن واستخراج التصاريح، وسينسون أنهم كادوا يقتلونني من قبل.

دخل عشرة رجال ومعهم شاب وسط ضوضاء وفوضى، يمسكون به جيدًا ليوقفوا ثورته، حين دخل إلى الاستقبال انفلت من بين أيديهم كثور هائج، وأطاح بالمكتب الذي تستند إليه الطبيبة، ظهرت عليها ملامح الخوف وإن حاوَلَتْ إخفاءَها، وصل العمال سريعًا والممرضات وأفراد الأمن كأنهم سينقذون البلاد من مجرم خطير، في لحظات صار مقيدًا بالسرير، في الوقت الذي أعطت فيه الطبيبة «أوردر» بحقنة «نيوريل»، وقالت:

– هنحجزه بكرة.

هل سأكون أنا وهذا المجنون في مكان واحد؟! نظرت إلى أمي منتهزًا الفرصة لأبرهن على خطإ ما نفعله، سألتها باستعطاف:

– هتسيبي ابنك الوحيد هنا؟!

تنهَّدت وهي تُجيب:

– على عيني! بس قضا أخف من قضا!

– ما تعمليش حجة الناس، إحنا ممكن نعزِّل ونروح مكان تاني، لكن تضحِّي بِيَّا كأني خروف هتدبحوه على العيد!

t.me/qurssan

- أنا أبقى بضحِّي بيك فعلًا لو سبتك دقيقة برة!
- للدرجادي بتكرهيني؟!

نظرت إليَّ طويلًا، ثم قالت بغيظ شخص فاض به:

- آه!

لاحظت طوال الليل أن الهائجين كثيرون كالذباب، كيف لم أنتبه لهم في الشوارع؟! لم أشعر يومًا بوجودهم في الدنيا، يأتون بصحبة أُسَرِهم الذين يرمون بهم أمام الطبيبة كمن يحاول التخلُّص من وَسَخ التصق به وأرهقه، سمعت كلمات مثل: «خلصينا منها بقى، عاملالنا مشاكل مع كل الناس، خلِّيها تبطَّل كلام، إحنا مش هنستحمل يوم تاني، شوفلنا مكان النهاردة، أنا مضربتوش لحد دلوقتي، أومَّال لو شفتي أخويا هو اللي بيموته ضرب، بس لو ما اتحجزش النهاردة هقتلهولك».

تتحدث الطبيبة بكلمات قليلة مع الأهل، وأحيانًا ما تزعق بهم حين يفيض بها الكيل في إفهامهم طبيعة المرض، وأن المريض ينكر مرضه، فكيمياء مخه بها عطب، تعطي لهم مثالًا توضيحيًّا؛ حيث تسأل أحد أفراد الأسرة:

- لو قلتلك أنك مش في المستشفى وأن المكان ده مش موجود غير في عقلك هتصدقني وتكدب اللي أنت شايفه بعينك؟!

t.me/qurssan

يومئ ببلاهة!

كان التكتيف يحدث بروتينية، والأوامر تتكرر بنفس النمط طوال الليل، قبل أن تعطي الطبيبة أوامرها بتكتيف مريض جديد، يكون التمريض والعمال قد قاموا باللازم، حتى إنَّني مللت المشهد الذي استولى على حواسِّي في البداية، ما لفت انتباهي هي العلاقة بين المرضى وأهلهم؛ الأغلبية يتعاملون بفوقية، باعتبار مرضاهم درجة ثانية: «بتاع ربنا»، «وبتاع ربنا ليس له إلا الله»، فهو عارٌ في الدنيا وخير في الآخرة، والكل يفكر في الدنيا، كيف سيتخلص من عاره بأقل قدر من المشكلات؛ يحركون عَارَهم كما يشاؤون، يضربونهم أحيانًا أمام الطبيبة ليصمتوا، يسبونهم غالبًا، يسوقونهم كالحمير، ويضربون ظهورهم كي لا يحيدوا عن الطريق، وعندما تلومهم طبيبة الاستقبال يردون بجملة: «إحنا مش عايزينه أساسًا»! سألت نفسي كيف دخلت هذا العالم الموحِش بكامل إرادتي؟!

غادرت نُهَى مبكرًا عائدة إلى البيت، بكدمة أسفل عينها استخدمتها أمي لتثبت خطورة بقائي خارج السجن، وددت لو أغادر معها! أن أترك كل هذا ورائي، أشعر أنَّني أتلقى الضربات فوق رأسي، وقبل أن أفيق من ضربة أتلقى الأخرى، ليس هناك وقت للتفكير في كل حدث بصورة منفصلة، ما حدث مع نُهَى، ثم ما حدث في الشارع، ثم كريستين، والختام هنا، مَن وضع رأسي تحت المطرقة؟! فالأفضل أن يضع رقبتي!

t.me/qurssan

همستُ في أذن نُهَى قبل أن ترحل:

– مش أنا اللي ضربتك، رجل المرآة هو اللي عمل كده، لو ضاق بك الحال افتكري إني محبتش في الدنيا غيرك، ما تقتليش بنتنا مهما حصل!

تنهَّدت تنهيدة طويلة ولم تقل شيئًا، أعطت أمي شنطة ملابسي، تعلقت عيناي بعينيها تنتظران نظرة تصديق لكنها انسحبت تَجُرُّ ثيابها، ولم تنظر إليَّ، ظلَّت في عيني وهي تسير في طرقة الاستقبال كعروس يحركها خيط من الأعلى، يتحكم بحركاتها وفقًا لرغبته وهي بلا إرادة تسير.

بَقَيْنا صامتين، وقبل أن تشرق الشمس وتسلم الطبيبة نوبتجيتها، دخلت فتاة في العشرين من عمرها تائهة، بلا أهل معها يشرحون حالتها، وقفت في منتصف الاستقبال، وخلعت ثيابها كاملة لتصبح عارية تمامًا وتشرح بذلك كل شيء! أصابت المفاجأة العاملين بالشلل، زعقت الطبيبة:

– طلعولي الرجالة برة!

وكانت تقصد بذلك الرجال من العمال ورجال الأمن، مستدعية العاملات السيدات، أما بالنسبة للمرضى أمثالي لم تكترث لوجودنا، كأنَّنا لسنا رجالًا، مجرد هوام نُحْدِث بعض القلق.

t.me/qurssan

تكالبن على الفتاة المسكينة حتى ألبسنها ثيابها، رأيتها جميلة، حزينة، مشوَّشة، يبدو أنها بقيت في الشارع فترة طويلة، وجهها وجسدها متسخان، وثيابها سوداء مقرفة، ربما لهذا السبب خلعتها، انجرفت نحوها بشكل غير مفهوم، انجراف مَن التقَى بمن هم مثله، ثم صرخت في نفسي لأفيق من هذياني: إنها مجنونة! هل صدَّقت أنك مجنون مثلها؟!

قالت الطبيبة للطبيب الذي أتى في ميعاده لتَسَلُّمِ (الشفت):

– أول حاجة هتتعمل تحليل الحمل عشان الأدوية.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(17)

مورستان (أ) رجال.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

في الصباح ساقنا العمال كما يُساق المجرمون؛ لكل واحد فينا عامل يمسكه من ذراعه، أمسَكَني أحدهم من ذراعي بحركة آلية دون أن ينظر نحوي كأنه ممسكٌ بحقيبته، في طرقات المستشفى بَدَا لي كل شيء رماديًّا قديمًا، العالم ينطفئ داخل تلك الأسوار، أرى آخرين مشدودي الأذرع مثلي، لكنَّ بلاهةً انطبعت على وجهوهم؛ يسيرون بلا هدف بأيدٍ مسدلة، ووجوه غامضة لا تعرف إن كانت سعيدة أم حزينة، غاضبة أم راضية، وجهوههم ورقة بيضاء لم يَخْطُطْ بها أحد، ما أسوأ هذا البياض! هذا العدم الذي يبدو وجودًا، الوجود الذي لا يصنع أية شخبطة، هل سأصير أبلهَ مثلهم مع الوقت؟!

انتابني قلق! وصار لكل شيء صدًى في أذنيَّ؛ الهمسات, حركة الأيدي، انطفاء سيجارة على الأرض، ارتطام كعب، زقزقة عصفور، تثاؤُب العمال، أزيز الأبواب، حتى الإضاءة ترف في عيني، لها رجع غير مسموع، تخفت وتعلو، تظلم وتضيء، تبدو الأشياء على بساطتها مخيفة، السلالم تخيفني وتصيبني بدوار، كذلك تجمُّع العمال ورجال الأمن، الشخبطات والحفر المرسومة على الحائط، تذكَّرت عادتي القديمة أيام المذاكرة في عَدِّ الحفر، نظرت إلى الحائط جواري، وسألت: هل تلك الحفر صنعها أناس يئسوا من الخروج من هنا؟! هل للحفر حكايات تختلف عن الحفر في حجرتي؟!

أصابتني رجفة من الغد المجهول؛ خوفًا على عقلي أن يتوه

t.me/qurssan

وسط العقول التائهة، خوفًا من أن أستسلم لهم، من أن تخونني ذاكرتي فأنسي أنَّني بكامل قواي العقلية، وأنني جئت هنا بالخطإ. بالتأكيد، تعمل تلك الطبيبة مع المخابرات، ربما لا تكون طبيبة من الأساس، انتحلت شخصية طبيبة لتتمكن من حجزي، بقائي هنا يجعلني فاقدًا للأهلية، البقاء هنا تعذيب.

بدأ ظلي الذي يسير معي بالتمعُّن في ملامحي، بَدَا عليه القرف، هكذا شعرت، أو ربما كان شعوره بالقرف يعود إلى أسباب كثيرة بعيدة عنِّي، قد يكون على خلاف مع زوجته بعد أن رفضت ليلة حب بقسوة، أو أن يكون ابنه قد أغضبه بعد أن عثر أبوه على علبة سجائر وسط كتب الدراسة متغافلًا عن مجلة تعرض صورًا عارية، فهي ضرورية من أجل المعرفة التي لن يخبره بها؛ لأن أمورًا مثل تلك لا تتم بين أب وابنه، أو أن رئيس العمال خصم منه نصف يوم لأنه تأخر خمس دقائق في اصطحابي، ربما، كل شيء ممكن! لماذا لا تضايقني تلك الأمور مثل الجميع؟! لم أكن أغضب حين يَرِدُني جواب تهديد من الشركة، ولم أكترث للخصومات التي تَقْصِمُ المرتب، كل ما يضايقني هو ذلك (الوش)، لماذا لا يصمت البشر ولو للحظة واحدة؟! ما الذي يمكن أن نسمعه إذا صمتنا جميعًا في لحظة واحدة؟! صوت الفراغ الأبدي! ينقصني سماعُه!

أمام العنبر توقَّفنا، قرأت اللافتة (عنبر [أ] رجال)، يخفي الباب خلفه طرقة طويلة بها أسرة صفراء متلاصقة، تقترب من

t.me/qurssan

السبعين سريرًا، هل هذا هو العنبر؟! أومأ ظِلِّي وهمس في أذني:

– هتسمع الكلام هتبقي حبيبي، هتركب دماغك هزعلك!

نظرت إلى عينيه اللتين تشعان غلًا وحقدًا، وابتسمت، لا أعرف لماذا؟! شعرت أنَّ ما يقوله مضحك للغاية، ولولا أن الأوضاع سيئة؛ لضحكت بصوت مرتفع. أغلق الباب خلفي بعد أن ألقى جملة إلى الممرضة:

– الدكتورة بتقول لِك: شوفي له سرير عقبال ما تخرَّج حد.

– هنيِّمُه فين؟! على حجري؟! مافيش سراير! لما تبقى تخرَّج حد تبقَى تتكلم، هم مش هيبطلوا حجز بقا، ناقص يلموهم من الشوارع!

نظرت إلى العامل ذي الشوارب الغليظة والمشية العسكرية، ورفعت إصبعي بحركة بذيئة! انتبه إليها قبل أن يغادر؛ لكنه لم يغضب! على العكس، نظر إليَّ كما ينظر مدير إلى طالب أخطأ، مدير يعلم قدرته على فعص هذا الطالب الجاهل ببواطن الأمور.

ضحكت الممرضة بخلاعة، لكنها خلاعة خمسينية، تلك التي تمارسها دون لوم أو تأنيب باعتبار أنها «ست كبيرة»! مالت نحوي وهي تكمل ضحكتها:

– شكلك مش هتجيبها البر!

t.me/qurssan

ثم ربتت على ظهري بحنان أم:

– خلي بالك ده غشيم وأهبل، خليك أنت العاقل!

ثم قالت تحدث نفسها:

– أنا مش عارفة الراجل ده طلقينه ليه، حقَّه المفروض يبقى في عنبر من العنابر.

نادتها امرأة بدت أكبر منها سنًّا:

– يلا نخلَّص شغل، أنا جايبة فلافل سخنة.

لا أعرف كيف تجرَّأتُ على حركة كتلك، لم أفعلها طوال حياتي السابقة، ربما لأنَّني كنت أخشى غضبهم في الخارج، أخشى هيئتي أمامهم، رغم ذلك ألقوا بي هنا، ما الذي سأخشاه هنا؟! ليس هناك أسوأ مما حدث ليحدث، وإذا حدث لك أسوأ ما في الكون فلن تخاف شيئًا، ليس هناك ما تخسره!

نظرت إلى إصبعي وأوقفته ثانيةً في فرح، رأيته ألفًا واقفًا رفيعًا حادًّا! رأيت نفسي أرفعه في وجه أهل الشارع غير عابئ بموتي وتهديدهم، أراحني كثيرًا الأمر، وصار يُنَفِّثُ عن الغضب داخلي، وبقيت لأيام كلما شعرت بالغضب رفعته بيني وبين نفسي، رفعته في وجه أمي، ووجه كريستين المتوحشة، ووجه سعيد، وعم علي جارنا، ورجال الشارع الذين ضربوني بلا سبب واضح، ولرجل المرآة الذي أفسد علاقتي بنُهَى، ولنُهَى إذا فكرت يومًا في تركي وقتل ابنتنا!

t.me/qurssan

عرفت بعد دقائق المقصود (بالشغل) الذي وصفته الممرضة، بعد عِدَّة نداءات لرجال الأمن والعمال، وعِدَّة أوامر للمرضى في العنبر، وقف العنبر كله في صفين متوازيين، تُخرِج الممرضة لكل منهم دواءه وتضعه في يده، ليضعه سريعًا في فمه، وخلفه كوب ماء، ثم تتأكد بأنه ابتلعه بفتح فمه والتنقيب داخله! لم يحاول أحد الاعتراض، ولم يبصق أحد في وجوههم، لم أكن داخل تلك الطوابير؛ فتَذْكَرتي تنتظر الأخصائي لصرف الدواء. ما انتبهت لوجوده داخل المشهد -ولم يكن موجودًا من قبل- تلك العِصِيّ التي بأيدي العمال، تبدو من هيئتها قاسية مؤلمة، نظر لي العامل الذي كان ظِلِّي ورفع العصا مُلَوِّحًا؛ لتأخذ وضع الإصبع المنتصب، ثم ابتسم في تهديد!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(18)

طابور لا ينتهي.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

كان لي نصيب من الطابور الثاني الذي يتم في الخامسة عصرًا تقريبًا، بعد أن تتسلم الممرضات (النوبتجية) في الثانية ظهرًا، ويَتحدثن ببعض الأحاديث الجانبية الخافتة، ثم (يقفلن التذاكر) ويتناولْنَ الغذاء، ويُتَمِّمْنَ علينا بحركات عيونهن التي اعتادت المراقبة.

حجرة التمريض توجد داخل العنبر، حيث تطل عليه بباب وشباك يسمحان بالرؤية، نحن تحت المراقبة المستمرة خلال حركاتهن في العنبر، ومن خلال الشباك الذي يجعلهن يراقبْنَ الوضع وهنَّ جلوس في أماكنهنَّ.

وقفْتُ في الطابور الذي لاح لي لا ينتهي، شعرت أنَّني لو وصلت لنهايته ربما أصل إلى حافة الأرض، بعيدًا عن تلك البقعة تحركت أقدامي حتى تعدَّيْتُ آخر رجل داخل الطابور، وجدت أمامي ظِلِّي يلوِّح بعصاه، بداية الأرض عصا تلوح وحافتها عصا تضرب، وضع لي الدواء في يدي، كانت أكثر من حبتين ملونتين بألوان لم ألحظها في ذلك اليوم، لكنَّني حفظتها بعد ذلك، أمسكت الدواء وهززت يدي لأجعله يقفز ثم ألقيت به على وجهه الغاضب.

– أنا مش عيَّان عشان آخد دوا!

العصا التي على حافة الأرض هبطت على ظهري في ضربات قوية متسارعة، جعلتني أسقط وأتكوَّم وأنا أسعل، ويسيل مِنِّي لعاب ممخط ببعض الدماء، وبينما أنا كومة تحاول استكشاف ما

t.me/qurssan

يحدث، وجدت فمي يُفتَح وتُقذَف فيه الحبات الثلاث وخلفها قطرات ماء حاولت تمرير ما حدث بصعوبة!

بقيت على الأرض فترة، قبل أن يأخذ الواقف أمامي بيدي، حين اتَّكأْتُ على قدمي، أحسست بألم بَشِعٍ، وخزٍ في كل جسدي ينشر عظامي ويصل إلى النخاع.

في الأعلى بدا ظِلِّي مهيبًا، أطول مِنِّي بكثير، يتَّكئ علي، في الأعلى كان يضحك، وكنت على وشك البكاء!

الطابور الثالث يتم في العاشرة مساء بعد تَسَلُّمِ (شفت النايت) بساعتين، وهما الساعتان اللتان تضِيعان في زحمة المواصلات وارتداء ملابس العمل وتقفيل التذاكر، أما وجبة العشاء فتتناولها الممرضات في الواحدة صباحًا بعد نومنا.

في الطابور الثالث كانت آلام جسدي تَئِنُّ، حين وُضِع لي الدواء تناولته سريعًا وشربت كوب الماء خلفه وحدي. عرفت وقتها لماذا لا يقاومون؟! لن يتحمل أحد الضرب المبرح ثلاث مرات يوميًّا، ولو تحمَّلها يومًا فلن يقدر على ذلك لأيام. عرفت وقتها أن عقلي سيتوه وسأصبح ورقة بيضاء بلا أية شخبطة. سمعت صوت ظِلِّي وهو يلوِّح بعصاه:

– شاطر، أَدِيك بدأت تسمع الكلام، ما كان من الأول ولا أنتوا ما بتجوش غير بالكرباج؟!

t.me/qurssan

لم أنظر إليه كأنه لا يحدثني، انفصلت عن الطابور متجهًا إلى سريري، كنت مُتعَبًا لتلك الدرجة التي لا أقوى فيها على الغضب! كان اليوم ثقيلًا، اليوم الذي لا يمر منذ لقائي بطبيبة الاستقبال حتى تلك اللحظة، أربع وعشرون ساعة في هذا الجحيم!

غفوت سريعًا، علمت أن الممرضات يغلقن الباب عليهن ويبقين في الداخل طوال الليل، وأحد العمال ينام معنا؛ ليطلع على أي شيء يحدث في الليل.

أحسست بشيء صلب يَخِزُ مؤخِّرتي وأنا نائم، فتحت عيني في الظلام دون أن أتحرك، تأكَّدت من حركة ذلك الجسم الذي يدور ويلف حول مؤخِّرتي من أسفل الغطاء، حتى استقر في الموضع الذي يبحث عنه، وقتها انتفضْتُ وأمسكت بالجسم المتحرك، عصا ظِلِّي! أمسكت بها وأبعدتها عنِّي، لكنَّني لم أجده، أعلم أنه ينام معنا، (نوبتجيته الليلة) كيف تأتي العصا دونه؟! ربما خاف مني وابتعد حين أمسكت العصا، قفزت على السرير أنظر فيما حولي، كل شيء هادئ، أمعنت النظر فلم أَرَ شيئًا، لكنِّي أحسست أن هناك بعيدًا في الأفق فَمٌ يبتسم! وأسنان صفراء تلمع في الظلام!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(19)

(كتاتونيا) حَيٌّ يتحـوَّل إلى جُثَّة!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

عرفت في اليوم التالي أن الزيارة تبدأ من الثانية ظهرًا وحتى الرابعة عصرًا، أتت أمي لزيارتي ولم تأتِ نُهَى، مما أثار في نفسي بعض القلق، فرحت في البداية لرؤيتها، وددت أن أستنجد بها كما كنت أشكو إليها أولاد الشارع عندما يضربونني أو يسبونني؛ حتى تجنبوني مُدَّعِين أنَّني: «عيل وبيشتكي لأمه»، قلت لها:

– ضربوني امبارح!

– يا لهوي! ليه؟!

– عشان آخد الدوا.

– وأخدته؟!

– هُوَّ ده اللي همِّك؟!

– يهمني إنك تِخِفّ.

– بس أنا مش هَخِفّ بالعند فيكِ! مش عايز أشوفك هنا تاني!

تذكرت الرجل الذي قلب المكتب حين ثار في الاستقبال، وكيف توترت الطبيبة؟! خطوات التكتيف داخل السرير، محاولات تهدئته، ثم تلك الحقنة التي تجعله يهدأ مثل حمل، وددت أن أفعل مثله، أن أهيج كثور، وأطبق على رقبتها فلا تنفلت مني إلَّا وهي بجوار سعيد وكريستين، أنا قاتل بالفطرة! حفيد قابيل! لماذا لم يفكر أحد أن قابيل مسكين يلاحقه الندم، وتلتصق بي وصمة الجريمة الأولى، الموت راحة! هابيل محظوظ! انقطع

t.me/qurssan

حبل أفكاري على يد الممرضة الخمسينية وهي تصرخ بي:

– دي أمك برضُه، هتموِّت أمك؟!

مَن قال لهم أنَّني سأقتلها؟! فكرت فقط! هل تصلهم أفكاري؟! هل يزرعون بمخي جهاز تَنَصُّتٍ؟! أحسست بألم في ذراعي، كنت مربوطًا في السرير! مَن ربطني؟! ومتي؟! نظرت أمامي فرأيت أمي تبكي وهي تمسك رقبتها وتبحث عن الهواء، والممرضة الخمسينية تربت على ظهرها في حنان وتقول:

– هيخف ويبقى زي الفل!

– أنا مش هقدر آجي الفترة الجاية بعد اللي حصل، خدي بالك منه والنبي، مش هحلفك!

حقنوا في وريدي مادة صفراء تلهب ذراعي، غبت في عالم آخر، رأيت فيه سعيد جالسًا على المقهى وحوله الرجال الذين يحبون هزله وسخريته يضحكون.

– الواد الأهبل فرحان إنه عمل بصبعه حركة مش ولابد! شفتم هبل أكتر من كده، ما هو لو مرة كنا قلنا ماشي، لكن راجل طول بعرض ومش قادر غير على صبعه!

انفجر الرجال في الضحك وهم يطوقونني بعيونهم.

– الندل ساب مراتي على الرصيف وجرى، طب مش يعمل معاها الواجب للآخر؟! شكله ما بيعرفش!

t.me/qurssan

توالت كلماتهم الهازئة حول رجولتي والتي كان منها: «ما هو عيل! مستني إيه منه؟!» والعجيب أنهم لم يتحدثوا عنه وعن زوجته بما يسيء!

– العبيط فاكر أنه قتلني! ما خدش باله إني أنا اللي قتلته من غير ما يحس!

استيقظت نافضًا أحلامي السخيفة عن السرير، تأمَّلت العنبر الذي كان (مورستانَ) حقيقيًّا، أنا العاقل الوحيد بينهم، أحاول أن أقاوم حتى لا ينفلت عقلي في تلك الدوامة التي لا تنتهي، ما يقرب من سبعين مريضًا في حجرة واحدة تشبه طرقة، يزعقون أحيانًا، يحدثون أنفسهم، يضحكون بلا سبب، وأحيانًا ما تخرج الكلمات منهم غير مفهومة، أو يَظَلُّ أحدهم أيامًا طويلة يُكَرِّر الكلمة نفسها بنغمة واحدة، كأنه نَسِيَ الكلمات الأخرى، أحيانًا يثور أحدهم فيضرب زميل السرير المجاور بلا سبب واضح، كل هذه الفوضى تحدث والباب مغلق علينا لا يُفتَح إلَّا مع تغيير (النوبتجيات) أو مرور الأطباء، وأحيانًا يتم إخراجنا ساعة في حديقة المستشفى كل يومين أو ثلاثة وسط أوامر صارمة، الحالة الرابعة لفتح الباب هي عند حدوث كارثة.

استغرقت طبيبة الاستقبال ربع ساعة فقط للمرور على العنبر ومتابعة الحالات، عَذَرْتُها، الفوضى لا تُحتمل، لن تصبر أكثر من ربع ساعة، تتحرك، وبين كل خطوة وأخرى هناك من يهددها بالانتقام! لم تكن تبالي بهم، أو ربما اعتادت الأمر، هدفها أن

t.me/qurssan

تخرج بأسرع وقت، تساءلت: كيف سأصبر على البقاء هنا دون أن أفقد عقلي؟! العقلاء لا يبقون هنا سوى دقائق! وقفت عند سريري، وسألتني:

– عامل إيه دلوقتي؟!

لم أرد، ما الذي سأقوله؟!

– طب احكي لي القصة من الأول وأنا هسمعك وأقول لك رأيي.

– لو حكيت لك هتصدقيني؟!

– طبعًا.

لا أعرف من أين أبدأ؟! لا يمكنني أن أخبرها أنَّني ارتكبت جريمة قتل، وسأخجل من إخبارها عمَّا حدث بيني وبين زوجة سعيد في الشارع! أخبرتها أن مخي يذوب ويتَّحِد بالأشياء، فتصبح حية من حولي.

– تمام، بس أكيد دوبان مخك ده تاعبك، إحنا هنديك أدوية تمنع الموضوع ده خالص.

– لا أنا عايزه كده! أنا حوِّلت مرضي لمعجزة، فاهماني!

– زيهم كده! هُمَّ برضه حوِّلوا مرضهم لمعجزات، بص حواليك!

– دول مجانين، أنا مختلف عنهم!

t.me/qurssan

– والدتك أو مراتك مخهم بيدوب زيك؟!

– لا، أنا بس.

– واشمعنا أنت بس اللي مختلف عن اللي حواليك؟! ما سألتش نفسك أنت ليه مش زي الناس؟! ليه أنت غريب ومختلف؟! ليه ما تكونش زي الناس؟!

نظرت إلى ساعتها، علمت أن وقتي انتهى، وأنها تود الانصراف. قُلْتُ وهي تهم بالتحرك:

– في ناس قليلة مش شبه حد، مش شرط يبقوا مجانين!

ابتسمت بسخرية وهي تترك العنبر:

– وبرده كان مخهم بيدوب وبيتفلسفوا مش كده؟!

تنهَّدت وتسمَّرت عيناي على جاري في السرير المقابل، وجدته عازفًا عن الدنيا، كآلة موصَّلة بالكهرباء لكنها عاطلة عن العمل، لا يتحدث، أو يتحرك، لا يرد إذا وُجِّه له حديث، وإذا وقفت أمامه لا يعطي إشارة بأنه يراك، وبالتأكيد لا يأكل، إذا أوقفوه لا يجلس، يظل هكذا، وإذا أجلسوه لا يقف، لا يذهب للحمام، ينساب بوله على السرير دون أية حركة منه، كان جثة حية! تمثالًا من الشمع ينبض، سمعتهم يقولون عنه: دخل في كتاتونيا. لم أفهم! يبدو مصطلحًا طبيًّا معقَّدًا، يعلقون له المحاليل التي تبقيه حيًّا، في (النوبتجية) دخل الطبيب بصرامة واضحة، أشار لاثنين من العمال ليحملاه وذهبا به، لا نعلم إلى أين؟! وبعد ساعة

t.me/qurssan

أتيا به محمولًا فاقدًا الوعي، يسيل لعابه من فمه، يبدو منهكًا، هل عذبوه ليعود إلى الحياة؟! كأن نخبط الأجهزة على رؤوسها لتعمل! أو ننقب داخلها للبحث عن الخطإ! تَكرَّر الأمر ثلاث مرات خلال أسبوع واحد، بعدها بدأ عطله ينصلح، بدأ ينظر إليَّ، لا أدري لماذا أحببت هذا التحوُّل ووجدت فيه شيئًا مفرحًا، رغم شعوري أنهم انتصروا عليه وأنه استسلم، كنت أتعاطف معه في كل مرة أراه محمولًا إلى وجهة لا يعرفها، وخشيت أن أُسَاق إلى ما يُساق إليه، خصوصًا حين يأخذه ظِلِّي وهو ينظر إليَّ نظرة جانبية موحية.

– هما بيخدوك فين؟!

– مش فاكر.

t.me/qurssan

(20)

العصا حين تصبح بطريقة مُعَقَّدَةٍ أنا!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

أسميته (محمد كتاتونيا)، بدا هادئًا على عكس أغلب الماكثين في هذا المورستان، مما جعلني أجلس معه دومًا كأنَّني أحتمي به.

أشعر أننا على ناحية أخرى من العالم؛ حيث تمتد طوابير بلا نهاية، وعِصِيٌّ تصل إلى السماء، وحدائق لا نلتمس جمالها وسط الأوامر والقواعد الصارمة، ليس مَعَنَا أية متعلقات شخصية، النساء لا يرتدين (إيشاربات) كي لا يستخدمنها في شنق أنفسهن، العمال يضربون الهائجين، والذين يتحدثون كثيرًا لأنهم -على حد قولهم- «بيجبولهم صداع»! وكذلك المعترضين على الدواء والذين يسبُّون الممرضات، أو يرفضون تناول الطعام، كنا في بقعة لا تخلو من مشاحنات لا تهدأ، وصداع لا يكترث للمسكنات، ضوضاء سبعين فردًا تموج طوال اليوم داخل رأسي، لماذا نحن بهذا العدد الضخم؟! حتى السجون لا يكون بها مثل هذه الأعداد؟! لاحظت أن العِصِيَّ تختفي في وجود الأطباء، لكنهم لا يمكثون سوى دقائق، وتبقى العِصِيَّ في وجوهنا أربعًا وعشرين ساعة إلا دقائق! لو فكرت سأموت من الحزن، حاولت تجنُّب كل هذا الهرج أنا وصديقي محمد، سألته عن السبب الذي جعله يتحول إلى حالة الكتاتونيا تلك، أخبرني أنه يشعر بالذنب، الذنب العظيم الذي يمنعه من الانتحار؛ لأن الانتحار سيريحه، وهو لا يريد أن يرتاح، عليه أن يدفع ثمن أخطائه، كان يشعر أن أية حركة ستصدر منه ستتسبَّب في لخبطة كونية لن يستطيع إصلاحها، مثلما تسبب في موت والده بالجلطة حزنًا على حاله، وتسبَّب لأخته العانس في وقف حالها؛ لأن أخاها

t.me/qurssan

مريض، لن يحتمل مزيدًا من الأخطاء والشعور بالذنب، وجوده كجثة لا تتحرك، لا ترى، لا تسمع سيجنِّبه الخطأ، وهي وسيلة جيدة لدفع الثمن!

سألت نفسي: لماذا لا يشعر المسئولون عنَّا بالذنب؟! ينامون هادئي البال، بينما يتحول محمد إلى جثة حية؛ لأنه يلوم نفسه، لماذا لم أشعر بالذنب مثله؟! تسبَّبت في موت كريستين، وقتلت سعيدًا، وآذيت نُهَى؟! هو أنبل مِنِّي بلا شك!

حكيت له عن كل شيء، ابتداء من أصدقاء المدينة الجامعية، حتى موت كريستين، ولم أتحرَّج من إخباره بزوجة سعيد كأنَّني أحدِّث نفسي، أبكي أحيانًا وأضحك كثيرًا على ما حدث، لم يعترض على ما أقول، مما سهَّل عليَّ الحكي. بعد أيام قليلة انضم إلينا ثالث، كان أعقل مَن في العنبر، صديق الممرضات والأطباء والعمال أيضًا، بَدَا لنا في البداية أنه ينتمي للطاقم الطبي؛ فهو يعتني بالمرضى الآخرين، يساعدهم على الاستحمام وتناول الطعام، يعمل على تهدئة الثائرين، تناديه الممرضة بالمستشار، حين سألته عن لقبه أخبرني أنه كان مستشارًا (أد الدنيا)، ثم فَقَد وظيفته، وفَقَد بعدها زوجته التي لم ينجب منها، وعوَّض غيابَ أهله بالممرضات والأطباء الذين صاروا عائلته الجديدة، عرفت بعد ذلك أنه يعيش هنا منذ عشْرِ سنوات، بعد أن تخلَّى عنه إخوته، يقول:

– أنا كويس بالعلاج، المفروض أخرج بس إخواتي من

t.me/qurssan

ساعة ما رموني في الاستقبال ما سألوش تاني عني، عشان كده أنا قاعد هنا، هُمَّ معذورين برضه، أنا بابقى وحش أوي لما باتعب!

لم أتصوره كما يقول «وحش أوي لما بيتعب»! وخصوصًا وأنا أراه أمامي في كامل قواه العقلية، أخبرنا أن هناك مثله كثيرين، صارت المستشفى بيتًا لهم، لأن أهلهم يتهرَّبون منهم، خصوصًا في عنبر الشيخوخة!

صار بعد ذلك دليلي في فهم أي شيء غامض، يعرف كل شيء عن المستشفى، سألته عن محمد كتاتونيا وإلى أين كانوا يذهبون به؟!

رد باقتضاب:

– جلسة كهربا، مفيدة في حالته.

وحين يجدني غاضبًا من العمال بصفة عامة، ومن ظِلِّي بصفة خاصة، يرد مبرِّرًا:

– معذورين، تخيَّل نفسك واقف وسط سبعين مجنون من غير عصاية؛ هياكلوك! لازم يخافوا منك! اللى بيحسوه ضعيف بيشتغلوه! أنت ما تعرفش حاجة.

يتحدث عن المرضى كأنه ليس مريضًا، ثم تجده في أحاديث أخرى معترفًا بمرضه، وأحيانًا ما يشرحه بالتفصيل، يرى نفسه لا يختلف عن أي مريض بمرض مزمن كالسكر والضغط، مرضه

t.me/qurssan

يأتي ويذهب، يغيب كأنه لن يعود ثانية، ثم يضرب بقوة أشد كلما نسي وجوده.

– لما بابدأ أتعب بابْقَا شايف إني مش تعبان، وساعتها ممكن أآذي ناس بحبها. مشكلة تعبنا عن عيَّان السكر والضغط أنه بيجي في أصعب حتة جواك، مخك، تخيل لما مخك يضحك عليك، استحالة تقدر تصدق حد غيره، عشان كده بحاول أخده على أد عقله.

– أول ما شفتك بتساعد الناس افتكرتك تبع التمريض.

– لما باشوفهم تعبانين حواليا بخاف، بساعدهم يمكن ألاقي اللي يساعدني.

لا أدري لماذا أصابني حديثه بالحزن والقلق، عشر سنوات فترة طويلة جدًّا، أحسست أنَّني بحاجة للسؤال عن أمي، علي أن أحافظ على علاقتها بي حتى لا أبقى هنا لبقية حياتي، إنها تملك الآن مفتاح العالم الخارجي، خارج تلك الزنزانة، في الصباح سألت الممرضة الخمسينية التي لاتزال على تواصل معها أن تخبرها أنَّني أريد أن أراها!

قرَّرت أن أَظَلَّ صامتًا وألَّا أفكر كي لا يتهموني بأنني أَوَدُّ قتلها، مضى اللقاء عاديًّا بلا كلمة واحدة مني، فقط إيماءات بالموافقة، وإيماءات بالرفض، يَئِسَت أمي في إخراج الكلمات مع مرور الوقت الذي بَدَا بطيئًا، لم أَقُل سوى جملة وحيدة وهي راحلة:

t.me/qurssan

– نُهَى ماجتش معاكِ ليه؟! تبقي تيجي كل فترة، ما تقطعيش الزيارات.

ابتسمت لتلك الجملة، وبدت فرحة، ظنَّت أنَّني شُفيت وأنها انتصرت، لكن العبرة بمن يضحك في النهاية.

في الليل كان الجو خانقًا، سبعون رجلًا بلا متنفَّس في حر أغسطس، أيقظت ظِلِّي مُدَّعيًا أنَّني أريد دخول الحَمَّامِ، تأفَّف من إيقاظي له في ذلك الوقت، فتح لي باب العنبر ونام على كرسي جواره، صرت حُرًّا لأول مرة منذ دخلت تلك المستشفى، تبوَّلت فرحًا بهذا الانتصار، بدت فرحتى واضحة على بولي الذي تحرك في أكثر من اتجاه منتشيًا، وعند خروجي رأيتها، منكوشة الشعر، لكنه رغم ذلك يبدو جميلًا بخصله الهائشة في كل مكان، سرحت في انتفاخ بطنها التي بدت لي كرة صغيرة، كانت فراشة تتبختر في أنحاء المستشفى دون رقيب، سألتها:

– أنتِ سيبتي عنبر الحريم إزاي وجيتي هنا؟!

– زي الناس، أنا جيت أقولك إني حامل!

– ...!

– أنا هحافظ عليه رغم أنه بياكل مني ومضايقني، بس أنا هستحمل عشانك.

وضعت يدها فوق كتفي، ورمت رأسها نحو قلبي الذي يدق:

– هو أنا أعرفِك؟!

t.me/qurssan

– أكيد، أنا ما فيش حد مايعرفنيش، أنا موجودة في كل حاجة، هتلاقيني في كل حتة حواليك، أنا مخي بيدوب!

أنتَ المفروض تِغِير عليَّا، ضِلَّك بيعاكسني في كل حتة!

– عايز مِنِّك إيه ده كمان؟!

– اللي أنت أخدته قبل كده!

خلعت ثيابها ووقفت أمامي عارية كما فعلت يوم الاستقبال، وضعت قبلة على جبيني وانصرفت فَرِحَةً بعُرْيِـها، ثم تلفتَّت قبل أن تبتلعها الطرقة، ورفعت إصبعها الأوسط بحركة بذيئة وضحكت!

اتَّجهتُ إلى العنبر وأنا أفكر فيما قالت، يزيد قلقي ما قالته عن ظِلِّي الذي لا يزال نائمًا بجوار الباب، هل يضايقها بالفعل؟!

على السرير الأصفر كان النوم عصيًّا، لا يريد أن ينطبع على جبيني الذي يحمل قبلتها، وفي النهاية رُحْتُ في نوم قلق تغلبه الكوابيس! رأيتها في نومي وهي تُخرِج جنينها وتأكله، أمي تبكي بلا سبب واضح، نُهَى تخنق ابنتنا بكيس المخدة، ثم تطلب الطلاق، وهي تُرفِق جوابًا من المستشفى يؤكد جنوني، وبينما أنا داخل دوامة من الكوابيس القاتمة، أحسست بالعصا تتحرك حول مؤخرتي، تبحث عن فتحتي، عندما وصلت إليها غاصت داخلي في ألم صارخ، بكيْتُ وأنا أشعر بها تنفذ إلى أحشائي، ثم تمزقها وهي تفر من بطني إلى صدري، تتجاوز الهواء بصدري إلى

t.me/qurssan

رقبتي، حيث تصعد إلى مخي الذي تريده، لتذوب داخله، تأخذ خلاياي الحية وتعطيه خشبها الميت في صفقة خاسرة، لكنه يقبل برضَا، يتشوَّق لسماع صوتها حين تصبح قادرة على النطق، وتصرخ بأعلى صوت: سأخبرك بالحقائق يا حبيبي!

استيقظ العنبر على صراخي الذي ارتفع، كنت ممسكًا عصا ظِلِّي في يدي وعيناه تشتعلان بالغيظ، أخذ عصاه وجعلها تهبط على جسدي، تخبطني سريعًا ثم تترك جسدي لتطير في السماء، ثم تهبط ثانية في مرح تُحسَد عليه.

– ابن المرة الوسخة بيغفلني وبياخد العصاية، طب وروح أمك ما هسيبك إلا لما تبوس إيديا عشان أرحمك.

لا أعلم، هل قبَّلت يده بالفعل ليتركني، ما أذكره الآن أنه ليس هناك جزء في جسدي سليم، خلعت ثيابي فوجدت آثار العصا حمراء وزرقاء فوق جسدي، تذكَّرت ملاءة سعيد، هل مت بين يديه؟!

في الصباح سألت الممرضة أن تعفيَني من طوابير اليوم، وافقت وأعطت لي الدواء في يدي وأنا على السرير، لكن العامل رآها ونشبت بينهما (خناقة كبيرة)، تسلم عامل آخر (الشفت) من ظِلِّي لكنه لا يختلف كثيرًا عنه، انتصر في خناقته بحجة أنه مسئول الأمن، مهدِّدًا إيَّاها بأنه لن يتصرف في حَالِ تهجُّم أحد المجانين عليها، أذعنت لتهديده في صمت واستسلام أخفته بضحكة مرنة وقولها: ما تقدرش؟!

t.me/qurssan

تكوَّمت في الطابور خائرَ القوى، بظهر مَحْنِيٍّ ورأس غائر، لماذا صارت العصا بهذه القسوة حين أصبحت بطريقة معقَّدة أنا؟!

– يا عصايتي السحرية، جه الوقت إنِّك تحكي!

– اخرس!

t.me/qurssan

(21)

الحكاية كما ينبغي لعصا أن تحكيها!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

أنا حيَّة من قبل أن يعطِني هذا الأبله جزءًا من روحه على حدِّ تعبيره، أنا حيَّة منذ بداية الخلق، بالتأكيد كنا في الأرض قبل هبوط البشر إليها، لكن تاريخنا الحقيقي ابتدأ معهم، وابتدأت المأساة، مت أول مرة حين كسرني صبي ساذج وأبعدني عن حضن أمي، ثم اجتَثَّ أمي ليوسِّع حجرته -حين صار شابًا- ليتزوج، ويأتِ بشياطين مثله، لم يأبه لنا وهو يقتلنا ببرود أعصاب وهدوء، كم أكره البشر! يستخدموننا في كل مراحلهم العمرية، كأننا خادمات مزاجهم العفن، وهم أطفال مجرمون لكي يتفاخروا بقدرتهم الفائقة على تسلق الشجيرات وكسر أغصانها، وفي شبابهم لكي يهشوا الغنم ويضربوا الدواب ويستعرضوا القوة، وفي كبرهم لكي يتَّكِئُوا علينا، لماذا صرت سخيفة إلى هذا الحد؟! ما فائدة هذا الحكي؟! لا يهم مَن يمسك مَن؟! ومَن يضرب مَن؟! المهم أنَّ كوني عصاه جعلني أشفي بعض غيظي منهم، أحمد الله أنهم لم يُحَوِّلوني لقطعة أثاث، أو لوح خشبي ينامون عليه، ويستريحون من أعبائهم، فكوني عصا أفضل على كل حال!

لا أريد أن أذكر أن تاريخنا مشرِّف؛ فنحن- وأختص بذلك هذا الجنس النبيل «العِصِيّ»- كنا في يد هابيل نهش على الغنم، ثم يد موسى وهو يكلِّم ربه، شَقَّ بنا البحر لنصفين، وتحولنا بين يديه لحيات تأكل، وأَكَلَ منا السوس بين يدي سليمان، ما جدوى ما أقوله لهذا المخبول؟! أنا في النهاية عصا لا أملك أية قدسية! لن يفرق معي إن أمسك بي شيطان أو نبي! أشعر أنَّني أهذي بتلك الحكايات؛ لأنَّني مشتَّتة، ذهني غير صافٍ، أو ربما لأن تلك هي

t.me/qurssan

أول مرة أتحدث فيها، فأريد أن أقول كل شيء: بسم الله الرحمن الرحيم، سيداتي، آنساتي، أهلًا ومرحبًا بكم في عالم الحيوان، أقصد الأشجار، أقصد الأخشاب، ماذا يحدث إذا تناولت بعض الأخشاب أدوية للذُّهَان؟!

لا أدري سوى أن حالتي باتت خطيرة، لا أتذكر الآن من الذي ربطني على قطعة حديد ببعض الحبال ليستقيم عودي؟! ولا كيف وقعت في يد الشيخ الذي استخدمني لتخويف الأطفال في الكتَّاب؟! انتقمت من هؤلاء الأوغاد، وعلَّمتهم كيف يتسلقون الشجيرات كالقرود! أحببت صوت بكائهم حين يتلجلجون بالآيات، أهمس في أذن شيخي: انظُر، لم يحفظوها جيدًا، وحمدًا لله أنه كان أبلهَ مثل هذا المعتوه الذي يُصِرُّ أن أحكي له حكاية قبل النوم: كان ياما كان في سالف العصر والأوان! كان هناك عصا تعيش فترة المراهقة في يد مدرس الجغرافيا، الذي لم يكن يعرف شيئًا عن العالم، أخذ يهتم بمظهر عصاه، وقام بلفها ببعض «السوليتب» الأصفر والأسود لتشبه تاكسي المدينة! اهتم بها أكثر من المنهج الذي لم يذاكره جيدًا؛ لأنها وسيلته الوحيدة لجعل طلابه يحترمونه، فلم يتجرَّأ أحدهم على أن يقول له: «إنه حمار، مش فاهم حاجة» ويعود ذلك لأفضالي عليه، لا أعرف، كيف أمحو تلك الذكريات المخجلة بملابس التاكسي التي ارتديتها؟! لن أخبر أحدًا آخر بتلك الحكاية، وعليك أيها المخبول أن تحفظ الأسرار، على كل حال ليست هناك صورة (سِلْفِي) تُثْبِت ما حدث في تلك المرحلة، وذلك من حسن حظي!

t.me/qurssan

وانتقلت من يد حمار إلى آخر، ابن المدرس فشل فشلًا ذريعًا في الدراسة، ولم يفلح في شيء غير التلويح بي، يوم أتاه تعيين الحكومة في المستشفى لم يصدِّق نفسه، وزَّع (الشربات) على أهل المنطقة، لا أدري، هل ظن نفسه سيُعَيَّن طبيبًا؟! ربما!

يُدعَى هاني محمد علاء فتحي إسماعيل محمد أحمد عبد النبي العسكري، لكنه حين ذهب إلى المستشفى لتسلم عمله كعامل نظافة برتبة عقيد، رأى أن اسم هاني يبدو غير لائق بمنصبه الجديد؛ فأطلق على نفسه اسم العسكري متجاهلًا حشد الأسماء التي قبله، بطاقته لا تحتوي على أي عسكري مشاة ولا مدفعية! لكنه رغم ذلك يَقْسِمُ أن جده السابع يدعَى العسكري، لم يرد زملاؤه في العمل أن يذهب قسمه هباءً فصدقوه، وصاروا ينادونه بالعسكري!

في كل مرة يقع حظي مع الأطفال، مرة مع أطفال الكُتَّابِ، ومرة مع أطفال المدرسة، خلَّصت ثأري كله من طفولتهم الشيطانية، مَن قال إنهم أبرياء كالملائكة، إنهم شياطين لم يروا الملائكة يومًا في حياتهم البائسة! أول مرة يقع حظي مع وحوش تلبس زي البشر كان في تلك المستشفى، تمنَّيت أن يكونوا في كامل قواهم العقلية كي لا يضحكوا ضحكات هيستيرية بعد ضربي إياهم، حتى أشعر أنهم جديرون بثأر أمي.

اليوم ظهر من ينغص عليَّ حياتي التي ارتضيتها قسرًا، يرغمني على الحكي، والحكي كله تافه بلا فائدة، فمخه الذي يذوب لن

t.me/qurssan

يتذكر شيئًا مما قلته، ومخي ليس دفترًا لأتقن التفاصيل الدقيقة التي مررت بها، كأول لمسة بين يدي بشري، وأول ضربة تلتها أول صرخة ألم أسمعها، حين لامست ذلك الجسد الصغير -الذي لن أنساه أبدًا- تمنيت أن أتوقف، ألَّا أصبح عصا، أن أنكسر فيرحمني الله من تلك الدموع التي تثير الشفقة، لكنِّي تذكَّرت لحظة موتي لأتراجع عن ضعفي، وأسترد قسوتي، وصارت تلك عادتي، كلما تراجعت عن ثأري، تذكَّرت كراهيتي لهم فيُجَنُّ عقلي، وتصبح ضرباتي هائجة، عنيفة، عنيدة، صعبة على السيطرة، كل هذا الهراء لن يهم أحدًا، حتى هذا المعتوه الذي أصابني ببعض العته، لم أكن غبية إلى هذا الحد من قبل! سأعرف كيف أنتقم منه؟!

t.me/qurssan

(22)

وساوس عصا / شيطان!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

سيداتي، آنساتي، سادتي، أنقل لكم الأحداث من أهدإ بقاع العالم، من داخل المورستان أَلِف رجال، نسيت للأسف ما أَوَدُّ قوله بسبب الأدوية، همست في أذن المغفل الأول:

– ما تاخدش الدوا، مش حاسس بالتشويش، الدوا فيه سم قاتل!

ثم همست في أذن المغفل الثاني:

– شكله مش هيجبها البر، موته عشان يبقَى عبرة لغيره!

ثم تأتي اللحظة التي أستمتع بها كثيرًا، وأنا ألقِّن هذا المخبول درسًا لن ينساه، ورغم أن العسكري يطيعني لكنِّي أكرهه أيضًا، كرهت كل الذين امتلكوني، يلصقونني بجوار صدورهم فأشم رائحة عرقهم الكريهة، يمسكونني بأيد متسخة، اتسخت كثيرًا وتغيَّر لوني للأسوإ!

همست في أذن المغفل الأول:

– هقولك قصة المغفل التاني عشان تستخدمها ضده!

العسكري الذي تراه يسير ملكًا في أرجاء المستشفى، ما يلبث أن يدخل شارعهم حتى يصبح أرنبًا، يسير بأرجل زاحفة، يبتعد عن الناس ويهرب إذا رآهم، يعرف كلماتهم التي يُعيِّرونه بها، ابنته التي لم يحب غيرها هربت مع عشيقها، ووضعت رأسه في الطين! كانت البنت طرية كملبن، تعرف كيف تلف وتدور مثله، فكسبت قلبه، أما الولد فكان مثل أمه التي كانت بدورها

t.me/qurssan

مثل القطار، فاصطدم به، أو بي، لأنَّنا نصير مع الوقت واحدًا، لا يمر يوم إلَّا وأتسلَّى على جسد الولد، حتى طرده العسكري؛ لأنه «جِبِلَّة وما بيحسِّش» ليراقب فشله وهو ينتقل من بيت لآخر، ويستمتع بذلك! في النهاية قدَّم العسكري أوراقه لمدير المستشفى ليعيِّنه ضمن فئة أبناء العاملين، لكن الولد رفض! لم يتأثر العسكري، على العكس وجد في ذلك متعة أكبر في أن يراقب مزيدًا من الفشل، ما كسره حقًّا هو ما فعلته البنت، لم يكن يضربها مثل أخيها لتنتقم منه بهذا الشكل، طفشت من البيت بعد أن كتبت لهم ورقة تقول فيها إنها ستتزوج الذي أحبَّته، والذي سينقذها من هذا العالم، وسألتهم ألَّا يبحثوا عنها.

فتَّش عنها في كل مكان بلا فائدة، حتى هدأت زوبعته رغمًا عنه؛ ليتفرغ لسماع أسئلة الناس، ثم تريقتهم، ثم تنظيرهم حول سبب المشكلة، منهم من يقول: أصله كان مدلَّعها! وآخر يرد: ربنا بيخلَّص منه حق الواد اللي رميه! وسريعًا ما يتحوَّل الشارع بأكمله إلى فلاسفة وقضاه ومحامين، ويتحوَّل معهم العسكري وتتبدَّل حياته، يفضِّل العيش بعيدًا عن الشمس داخل جحور صنعها لنفسه، لا يشتري طلبات البيت إلا ليلًا، يأخذ (نوبتجيات) أكثر ليظلَّ بالمستشفى أطول فترة ممكنة، يبكي أحيانًا دون سبب مقنع، ولم يَعُد يفارقني أبدًا، يسير بي أينما ذهب، حتى حين ينام يضعني بين ضلوعه وأمام زوجته، وإذا ضاق بزوجته الحال هدَّدها بي ملوحًا فتصمت عن انتقاده أو الإعلان عن رغبتها في تركه.

t.me/qurssan

همست للمغفل الأول:

– أخرج عن الطابور لتغيظه.

ثم همست للمغفل الثاني:

– ده بيتحداك ومستهيفك.

همست للمغفل الأول:

– اشتمه لما يجي يصحيك من النوم.

ثم همست للمغفل الثاني:

– ما أنت هُزُؤ الصراحة، عنده حق، هو أنت في حد بيحترمك !

همست للمغفل الأول:

– قول له جاي تتشطر علينا؟! كنت اتشطرت على بنتك!

حين قالها المغفل الأول للمغفل الثاني حدث ما لا يحمد عقباه، ما هذه الجملة القديمة؟! أعتقد أنها قيلت في أوائل القرن الماضي، هل صرت عجوزًا إلى هذا الحد؟! لي أمنية وحيدة قبل أن أموت موتتي الأخيرة، أريد أن أنتقم من العسكري، أتذوَّق لحمه وأشعر بحرارة دمه وهو يلمس جسدي، رغم أن العسكري وأبوه مكَّناني من أخذ ثأري وثأر بني جنسنا كله، لكنَّني لا أحب الظلم، هما يستحقان (علقة موت)، لعله ثأري الأخير، أثأر للشجرة التي ماتت داخلي، لماذا أبدو «أوقر» وأنا أحكي؟! الأمر لا يستحق، لن أحكي مجدَّدًا، الحكي لا يفيد!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

(23)

جِنِّيَّةٌ عارية تفسد صداقة الرجال!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

منذ تركتُها في الطرقة عارية تضحك وهي تأتيني كل يوم، تقابلني على السلم وأنا ممسوك من ذراعي لسحب التحاليل، في الحَمَّامِ وأنا أستحم، ثم في النهاية صارت تأتيني في العنبر دون أن يراها أحد كجِنِّيَّة!

في البداية كانت تتسحَّب ليلًا، أنتظرها قرابة الفجر كأنها ستتنزل من السماء، كنا نخفض أصواتنا كي لا تسمعنا الممرضات فيحسدْنَها على عُرْيِـها الناصع، ويشتبكن معها في عراك مُفتَعل، ستتركهن يتعاركن وتقول: «غيرة نسوان» وهي تضحك! وستزيد غيرتهن بتبخترها كغجرية تظن أن المستشفى ملكها، ليست المستشفى فقط، الكون كله في قبضة يدها، هي مجنونة بالفعل، وتمارس جنونها بحرية، دون أن تخشى أحدًا! بيضاء ناصعة، منكوشة الشعر، حيَّة الملامح، تضحك دائمًا كأن هناك من يداعبها، تسخر مِنِّي بقولها:

– اِلْحَق أقف في طابور المجانين، وبلبع الأدوية اللي هتنسِّيك اسمك.

ثم تسألني في خفة:

– اسمك إيه بجد؟!

فأجيبها بمكر:

– هتفرق؟!

تضحك:

t.me/qurssan

- هَنَادِيك بإيه يعني؟! يا إمَّا هسمِّيك أنا بَقَا وأمري لله.

هونت عليَّ ما ألاقيه هنا بعد أن أصبح ظِلِّي أكثر عصبية، وصِرْتُ أنا أكثر قدرة على استثارة غضبه، أشعر مع كل ضربة تهبط على جسدي أنَّني صِرْتُ بطلًا في عيني جِنِّيَّتي، أرى ملامحها تنطق بالأسى والحب في آنٍ واحد، تطوِّقني وهي تمسح على جسدي الملون بالضربات، فتُحِيلُه في برودة الثلج، فأنسى أنه منذ ثوانٍ كان يشتعل جمرًا، أنسى أنَّني كنت أتألم، أضحك لعينيها الجميلتين كي تطمئن ولا تحزن، لا أريد أن أحزن وهي معي، أشهد بطنها ترتفع أمامي، ألحظ حركات جنينها، لا بدَّ أنه عفريت مثلها! أشفق عليه من الدنيا، لكنِّي أعود فأقول ربما يصبح حظه أفضل من حظنا.

مع ازدياد الضربات على جسدي صِرْتُ أشعر أنَّني بلا ذنب الآن، تطهرت من ذنوبي التي ارتكبتها في حق سعيد وكريستين ونُهَى، من الذنوب التي اقترفتها ومن الذنوب التي لم أقترفها، وجدت وسيلة أخرى غير «الكتاتونيا» لأسدِّد بها الثمن، منذ تحوَّلت لعصا وجسد، قاضٍ ومجرم في آنٍ واحد، صار عليَّ أن أكون صادقًا مع نفسي، قادرًا على جلد ذاتي دون رحمة أو تهاون!

أبانا الذي في السماء أعترف بخطيئتي الكبرى، لم أتعمد أن أقتل، القتل هو الذي يتعمد مصاحبتي! أبانا الذي في السماء لقد تطهَّر هذا الجسد من أجل روح المسكينة كريستين، لم تكن تستحق موتة القطط التي ماتتها! أبانا الذي يرى ذلك المورستان

t.me/qurssan

ويصمت، إن غفرت لي خطيئتي الكبرى فاغفر لكريستين ذنبها الأعظم، لم تكن تقصد مصاحبة القطط!

لا أعرف لماذا صار يتجنَّبني «كتاتونيا»، إذا جلست على سريره تركه وتحجَّج بأية حجة، إذا حاولت في الحديقة التودُّد إليه عاد إلى العنبر، حتى ذلك اليوم الذي صارحني فيه بأنه يتشكَّك في أمري!

– بتبلغ المخابرات عنِّي؟! أنا باسمعك كل ليلة الفجر وأنت بتكلمهم وبتضحك!

– أنت مجنون! هبلغهم إزاي إن كنت أنا هربان منهم؟! أنا مش حكيت لك مأساتي معاهم.

– هو قاتل زيك صعب عليه إنه يكدب؟!

– أنا كنت باكَلِّم جِنِّيَّتي، أنت مالك، هي تلاقيح وخلاص!

– أنا سامعك بتجيب سيرتي، بتحكي لهم عن كل حاجة بتحصل في العنبر، بتسجل لنا بميكرفون جُوَّا مخك، وبتكلمهم طول الليل والنهار، أنت فاكرني ممكن أصدقك وأكدِّب وِدني؟!

ابتعدْتُ عنه وتركته، لن يُجدِي النقاش معه، تحول «كتاتونيا» من الهدوء إلى العصبية، لا يجلس دقيقتين كاملتين، يتحرك في أنحاء العنبر كأنه يطوف، يتحدث بكلمات كثيرة غير مفهومة، وأحيانًا يزعق في الفراغ ويضرب الحائط بيديه ورأسه، قالت لي جِنِّيَّتي العارية إن صداقات الرجال تَفسد بوجود امرأة،

t.me/qurssan

فما بالك بامرأة عارية جميلة لم تتذوَّق صخب جسدها حتى الآن؟! تتبادل معها الحكايات والقُبَل، أومأت موافقًا، وسألت نفسي كيف أشتهيها إلى هذا الحد ولا أتذوَّقها؟! هل أَثَّرَت الأدوية على رجولتي اليَقِظَة فجعلتها تنام كالميت؟!

بعد يومين قامت الممرضة بنقلي من سريري إلى سرير آخر في نهاية العنبر؛ فعلى حد تعبيرها: «كتاتونيا» بقي خطر عليك!

لكنَّني ما زلت في نفس الحجرة معه! تبعدنا عِدَّة أمتار فقط! هل عليَّ أن أقلق وأنام بعينين مفتوحتين؟! هل يُعَدُّ ذلك إجراء احترازيًّا؟! ربما!

t.me/qurssan

(24)

رجل العصا.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

غابت جنِّيَّتي ليومين كاملين شعرت فيهما أنَّني سأفقد عقلي! غيابها سيجعلني مجنونًا مثل هؤلاء، إنها عزائي الوحيد للبقاء هنا وتحمُّل العنبر، الحر، الضرب، الأطباء الذين يبتسمون وينظرون لنا بتحَدٍّ، يحاولون أن يثبتوا جدوَى ما يفعلونه لنشفَى، من قال لهم إننا نريد أن نُشْفَى؟! لماذا يقرِّرُون مصائرنا كآلهة؟!

لا يمكنني الخروج من العنبر إلَّا ليلًا متحجِّجًا بالذهاب إلى الحَمَّامِ، انتظرت حتى نام الجميع، ثم استأذنت العامل (النوبتجي)، لم يكن ظِلِّي موجودًا الليلة، وذلك أفضل لأتمكن من البحث عن جنِّيَّتي، تركني أذهب وحدي، بعض المرضي لا يتركونهم حتى وهم يستحِمُّون، الحمد لله أنهم يعتبرون حالتي تسمح.

فتَّشت المستشفى عنها، أنتقل من طابق إلى آخر، عنبر (أ) حريم، عنبر (ج) رجال، شيخوخة، شرعي، أطفال ومراهقين، عنبر الإدمان، عنبر (ب) رجال، عنبر(ج) حريم، ما كل هذه العنابر؟! كل هذه البقاع المبهمة غير المرئية! أخيرًا سمعت صوتها! لا يمكنني الخطأ في نبرتها المميزة، انجرفت في اتجاه الصوت، يأتي من حَمَّامِ الحريم، تباطأت حتى لا يتسبَّب وجودي في استيقاظ العاملين، فتحت الباب ببطء فرأيت المشهد الذي لن أستطيع مَحْوَه مهما حدث، كان ظِلِّي غطاء يغطِّي جِنِّيَّتي النائمة على أرض الحَمَّامِ، يتأوَّه بانتشاء رجل يقف على الماء، وجسده عصا لها وتد مغروس بجسدها، عصا مدبَّبة مليئة بالشوك، ما إن تدلف

t.me/qurssan

لا تخرج إلا بالدماء، نظرت إلى جسدي وسألت: لماذا فقدْتُ عصاي؟! اللعنة على الأدوية، خبطته بكل ما أملك من قوة حتى أفقدته توازنه، خطفت العصا منه ونزلت بها على جسده، كنت زلزالًا مدمِّرًا، من أين أَتَتْني تلك القوة؟! بدت العصا في يدي هزيلة رفيعة، وعصا جسده سميكة وممتدَّة، لن أتركه حتى أكسره إلى نصفين، أنتقم لجسدي الذي احتمله كل هذه الفترة، يصرخ فأضرب بصورة أقوَى وأنا أتلذَّذ بصراخه المدوي، شعرت أن العصا تقاومني، تدافع عنه وتتَّحِد معه، تهبط رغمًا عنها وهي تَوَدُّ لو ترتد في وجهي فتحطم أسناني، تبكي عليه بحرقة، كنت مخطئًا حين ظننت أن العصا صارت بطريقة معقَّدة أنا، العصا لم تكن سوى العسكري ولن تنتمي لغيره! تتَّحِد مع عصا جسده ليتحول وجودهما إلى كيان واحد، عصا طويلة نافذة!

سمعت جِنِّيَّتي تقول:

– سيبه يا مجنون، ما تضيَّعش نفسك؟!

– لا يمكن!

أحسست بها تدفعني بقوة:

– سيبه أنا متعودة على كده! لدرجة إني بطلت أفكر في الانتحار لمَّا ده بيحصل! أنا طول عمري في الشارع، فاهم ده معناه إيه؟!

أحسست بضوء يضرب عيني وخيالات وجوه تزعق!

t.me/qurssan

– سيبه لو بتحبني، عشان خاطري!

نظرت إليه لم يعد يصدر صوتًا، والعصا فوقه مكسورة لأكثر من قطعة، حين اطمأننت لاستسلامه التام تركت ما تبقَّي من العصا من يدي، سحبت جنِّيَّتي ذراعي بقوة وغيظ للخلف وقامت بتكتيفي:

– يعني أنت لا بتعمل حاجة ولا عايز غيرك يعمل حاجة؟! ده جزاته إنه بيبسطني؟!

صرخت في وجهها بكلمات متشابكة، وصِرْتُ أسمع أصواتًا كثيرة.

– خدوه بسرعة على العنبر، ويفضل متكتف لحد ما نشوف هنعمل إيه.

– خدوا العسكري على إسعاف المستشفى، واطلعوا به على طوارئ الميري بسرعة.

زجُّوا بي إلى الطرقات المضبَّبة، عائدين بي من حيث أتيت، كان الفجر وشيكًا، استقبلته بصرخات عالية ومحاولات للإفلات من أيديهم، لكنهم كانوا كثيرين، يدفعونني لأتحرك عمدًا إلى العنبر، إلى أين تذهب حبيبتي؟! هل ستذهب إلى استقبال مستشفى الميري؟! هل ستخونني كأمي ونُهَى؟!

ربطوني داخل سريري حتى الصباح وانشغلوا عني، وددت أن أبكي لكن الدموع ظلت متحجرة، و«كتاتونيا» يحوم حولي

t.me/qurssan

كثعلب ينتظر فريسته، حتى أَتَتْ طبيبة الاستقبال وخلفها العمال، حملوني على الترولي إلى حجرة هادئة، وضعوا جهازًا على رأسي، حقنوا داخل وريدي مادة صفراء لزجة! رأيت غربان تقتحم الحجرة، تكسر زجاج النافذة وتعبر نحو رأسي، تنقر رأسي بمنقارها الحاد، نقرات مزعجة مخيفة، ثم تطير إلى الجهاز بجواري، تتحدَّث بصوت إنساني مزعج، تُصدِر نعيقها العالي حتى تصم أذنيَّ، هل آنَ الوقت لأُشفى؟! هل تهتز الأرض من تحتي؟! وتصطدم بنجمة مجنونة تقفز هنا وهناك فتحطمها وتحطمني معها؟! الأضواء تضرب رأسي وتمحو من ذاكرتي السم الذي وضعته لي أمي، تفر إلى أصدقاء المدينة فتنهاهم عن تبليغ المخابرات، تجمع قطط العالم لتخبرها أن تكف عن مطاردتي.

اهتزت الأرض من تحتي مرة أخرى قبل أن أنتبه لنفسي تائهًا، وقد ابتلَّت ثيابي باللعاب، كل جزء في جسدي يؤلمني، لساني ينزف، بصقت الدم على الأرض جواري، كنت في العنبر، هل ضربوني؟! مش فاكر!

t.me/qurssan

(25)

« جلسة كهربا » تُنهِي كل شيء!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

كنت أُساق إلى الحجرة الهادئة كما يُساق المجرمون إلى حجرة الإعدام، لكن لخطإٍ ما في آلة الشنق لا يموت المحكوم عليه، فقط تهتز الأرض تحت أقدامه بزلزال يهدم كيانه، فينسى ما يفكر فيه، وتبدو أحقاد الآخرين هيِّنة، والحياة أفضل، وخصوصًا حين توضع في مقارنة أمام إعدام دون موت، يعود إلى حياته متغافلًا عن الذي يتربَّص به هناك، والسم الموضوع له هنا، وزوجته التي تكرهه والجنِّيَّة التي تحبه، وجسده الذي يذوب، كل هذا يبدو تافهًا أمام السائل اللزج الذي يسير بوريده، والغربان التي تلتهم رأسه، تنقر رغيف العيش وهو مصلوب في السرير بمسامير طِبِّيَّة معقَّمة، فللطب وسائله للتعذيب أيضًا!

خلت الأيام بعد ذلك، لم يَعُدْ مخي قادرًا على الذوبان، صار جامدًا متحجرًا لا يفكر في شيء، لم أَرَ جنِّيَّتي ثانيةً، شعرت أنَّني نسيت ملامحها، كأنها مرسومة على صفحة بيضاء وأتى أحدهم بممحاة ومسحها، بهذه السهولة! لم أعد أسمع صوت سعيد الهازئ، ولا أصوات الجالسين حوله، وزوجته منذ هربْتُ وتركتها على الرصيف جافتني، لم يَعُد لي أحد، تَيَتَّمْتُ فجأة كمن فقد أهله جميعًا في حادث سير، لم يبقَ في قلبي سوى حزن لا أعرف مصدره، حزن يغسلني فلا يترك بروحي أي أثر، ليس هناك من يمر ليترك علامة، صمت العالم فجأة من حولي، كم كنت أتمنى هذا الصمت! لم أكن أعلم أنه سيكون مملًا، وسيبتلعني في جوفه، حتى الغربان التي كانت تنتظرني على النافذة غابت، أنغمس في البياض كلما أوصلوني بالجهاز، أنطفِئُ ويهدأ اشتعالي كعقب سيجارة ملقًى على الطريق، لا أتذكر كم استغرق مخي من الوقت لينطفِئَ

t.me/qurssan

بهذا الشكل؟! ما أتذكره جيدًا أنهم انتصروا وأنَّني هُزِمت تمامًا.

وقفت طبيبة الاستقبال أمامي تهنِّئُني بعودتي لعالم العقلاء، استفزتني بكلماتها التي تقفز أمامي، والتي تعلن فيها انتصارهم.

– أنت الحمد لله اتحسِّنت كتير، وكلها يومين وتخرج، مش عايزين نشوفك هنا تاني!

لم أُجِبْها متفاديًا نظراتها التي تثقبني، عندما وصلت إلى المستشار الذي بَدَا لي مجنونًا، قفز فوقها مطبِقًا على رقبتها، بقيت في مكاني رغم قربي منها، مرَّت دقائق قبل أن ينتبه لها العمال والتمريض، خلَّصوها من بين يديه، ألم تكن تلك الطبيبة صديقته؟! يساعدها في انتشال المجانين من هُوَّة الجنون! سقط هو فيها، غبي! تذكَّرت جملته: «أنا بابْقَا وحش أوي وأنا تعبان»، ابتسمت له وغمزت بعيني!

سمعت الممرضات يتحدثن عن العسكري، وتباينت نبراتهن بين التشفِّي والشفقة، يقلن إن بجسده أكثر من كسر، وأنه طلب من المدير اعتزال العمل الميداني، والانتقال إلى البوفيه، وكن حين يتحدثن عنه ينظرن إليَّ نظرات جانبية متفاوتة، لا أعرف لماذا؟! لا أتذكر ما العلاقة بيني وبين ما حدث له؟! لا أعرف حتى الآن من الذي قام بضربه؟!

– تعرفي يا علية إن العسكري هيشتغل في البوفيه من بعد اللي حصله من أخينا؟!

– والله بقيت بخاف منه لما أعدِّي من جمب سريره، بس

t.me/qurssan

شكل جلسات الكهربا منسياه اللي عمله، أمه هي اللي صعبانة عليا، ابنها الوحيد!

– بيقولوا بعد ما اتجِبِّس بيومين جه المستشفى يسأل على عصايته، لما قالوله إنها اتكسرت عيَّط بالدموع!

– والله ساعات باحِسُّه غلبان وبيصعب عليا!

– ما يصعبش عليكِ غالي يا أختي! ده ابن كلب، جزمة ما تتقلعش من الرجل، أحلف لك بإيه هما يومين بعد ما يخف وهيرجع العنابر تاني.

أُنصِت إلى حوارهن، لم أفهم مَن المقصود (بأخينا)؟! ما لاحظته فقط أن معاملتهن معي اختلفت، صرن يتعاملن معي باعتباري (مسجل خطر)، لا تلهو أعين العمال بعيدًا عني، لا أُترَك للذهاب للحَمَّامِ وحدي حتى في الليل، يذهب معي العامل وينتظرني في الخارج، وأحيانًا ما يدخل معي ويرى عُرْيِي وأنا استحم! لم أعُد أبالي، لا بدَّ أنَّني صرت أبلهَ كالذين رأيتهم في الطرقات حين جئت، وجهي لا يحمل أي تعبير، أسير بين أيديهم كدمية يحركونها كيف شاؤُوا، ومتى شاؤوا، يحددون موعد استحمامي، نوع طعامي، مع من أتعامل، موقع سريري، ما يجب أن أفكر فيه، ما أقوله وما لا أقوله، وفي النهاية يقدمونني إلى أهلي كمن قام بواجبه على أكمل وجه، أصلح الخطأ الموجود بالجهاز وعلى العميل سرعة تسلمه.

لم تجمعني بكتاتونيا سوى اللحظات الأخيرة له ولي، رأيته أمام الحَمَّامِ، ابتعدت عنه منفذًا أوامر الممرضات وخصوصًا

t.me/qurssan

حين انحنَى نحوي في حركة مفاجئة، لكنه احتضنني كأنه يعلم أني مغادر في الصباح، همس في أذني، وبَدَا لي أن جنونه نحوي قد هدأ قليلًا: اهرب!

ظل العامل ممسكًا بي وأتاح لكتاتونيا الدخول قبلي، مرَّت ربع ساعة ولم يخرج، مَلَّ العامل الانتظار وسأل نفسه: «بيهبِّب إيه ده؟!» ثم فتح الباب بلا استئذان! حين دلفنا وجدنا «كتاتونيا» تحول إلى جثة حقيقية تتدَّلى من السقف بأحد الأسلاك الكهربائية، وتتحرك كبندول بدأ يهدأ من رعشته الأخيرة!

احتضنني العامل وانهار في بكاء عميق، يشدني إلى حقيقة لا أريد أن أصدقها، هل مات «كتاتونيا» وارتاح من ذنوبه؛ ليهنأ كل مَن لهم ثأر عنده؟! لن تحتاج الممرضات لتحذيري منه مرة أخرى، لن يَقُلْنَ: احترس، ها هو يبتعد عني للأبد، يبتعد عن العمال، الأدوية، المخابرات، الأطباء، عن العيون التي تحرسنا وتُدْمِينا! وددت أن أسأل العامل هل يحزن عليه حقًّا؟! لكنَّني لزمت الصمت وأنا أربت على كتفه، وأُمْسِك يده كي لا يسقط، وبينما كنا نهتز وترتفع عنَّا نهنهة لا أعرف هل تصدر مني أم منه؟! كان «كتاتونيا» يهتز في الأعلى وينظر إلينا برضا!

في الصباح تسلمتني أمي فرحة، استسلمت لفرحتها، وددت الخروج من هذا الجحيم بأسرع وقت، كلما انتقلت من طرقة إلى أخرى، رأيت «كتاتونيا» يتأرجح من الأبواب، كانت هيئته مخيفة وخصوصًا حين يصدر عن جثته صوت عميق أزلي يردِّد: اهرب!

t.me/qurssan

(26)

بدلة عُرْس.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

على باب المستشفى، لامست وجهي نسمة باردة تُذكِّرني أنَّني خرجت من السجن، تخيَّلت حين دخلت هنا أنَّني سأطير من الفرحة حين يصدر الحكم بالإفراج عني، لكنَّني الآن لا أشعر بشيء؛ فأنا لم أَعُد أنا، كل شيء بداخلي اهتَزَّ مع اهتزازات الجهاز الذي اتصلت به، سألت نُهَى ونحن نسير في الشوارع الغارقة بالبشر:

– ليه ما جِتِيش تزوريني ولا مرة في المستشفى؟!

ردت باقتضاب:

– كنت خايفة!

سألت نفسي هل هذه نُهَى التي أحببتها؟!

تسمَّرت عيناي على وجوه البشر، فاترينات المحالِّ التجارية، نداءات الباعة، الأموال التي يدفعونها ثمنًا لكل شيء، هل أنتمي لهذا العالم حقًّا؟! هل سأتمكن من الجري خلفه واللحاق به؟!

توقَّفَتْ أمي قرب بيتنا تُسَلِّمُ على امرأة أربعينة ترتدي عباءة سوداء ويبدو على وجهها الحزن، لم أكن أعرفها، سألت أمي:

– مين دي؟!

– مِرَاة سعيد الله يرحمه!

دارت بي الدنيا دورتين قبل أن أنتبه لملامحها القريبة من زوجة سعيد التي أعرفها، هل تتخفَّى وتتظاهر بالحزن لأننا في الشارع؟! ربما! هل تخونني عيناي؟! تُشبِه كثيرًا وَصْفَه لها وسخريته منها، لا بدَّ أنه يعرفها أكثر مني، كم مكثت في المستشفى لِتَستحيل

t.me/qurssan

زوجته لتلك الهيئة؟! أين قميص النوم السماوي؟! ووجودها الملكي؟! هل قَسَتْ عليها الدنيا إلى تلك الدرجة في غيابي؟! دار حديث جانبي في ذلك الوقت لم ألتقط منه شيئًا، سألتها بإلحاح:

– هو سعيد مات إزاي؟!

نظرت لي بِرِيبة وقلق كأنها لا تعرفني، بَدَا لي أنها تتهرَّب من علاقتنا، من المؤكد أنها عرفت أنَّني خريـج مستشفى المجانين:

– يعني إيه إزاي؟!

– مات بإيه؟! عايز أعرف.

– مات بغيبوبة سكر!

– أنتِ متأكدة؟!

– طبعًا، أنا كنت معاه.

أظلمت الدنيا في عيني! إن لم أكن قد قتلت سعيدًا، فمن قتلت إذن؟! الحكاية تبتدِئ وأنا مُنْهَك من البحث، مرق أمام عيني طيف له سرعة هائلة، لم أتمكن من تمييز هيئته، ينظر إليَّ بعين جانبية ثاقبة، لا بدَّ أنه القتيل الذي لا أعرفه حتى الآن! هل يراقبني؟!

– طب سعيد كان بيعد على القهوة ويضحك على اللي رايح واللي جاي.

– !! ده عشان اسمه سعيد مثلا!

ابتسمت زوجة سعيد بقرف، بينما تسحبني أمي لتبعدني عن

t.me/qurssan

المشهد، تجرني خلفها حتى باب البيت، كما كان يفعل ظلي معي، لا فرق على كل حال!

في البيت كان كل شيء ميتًا بلا حياة، الفوضى انصلحت مثلي، والمرآة تغيَّرت، يبدو أنهم أتوا بأخرى جديدة، ذهبت نُهَى لتحضر طفلتنا من بيت الجيران، حين رأيتها احتضنتها بشدة، وأنا أشم بداخلها رائحة طفولتي، لاحظت قلق نُهَى وتعلقها بالطفلة كأنَّني سأقتلها، تركتها على السرير، وأنا أنفي عن نفسي التهمة:

- أنا خفيت زي ما انتوا عايزين على فكرة!

غِبْتُ في الحفرة التي بدت لي قبرًا قادرًا على احتوائي، لم تمت طبيبة الاستقبال للأسف الشديد، وها هي أمي تنفِّذ وصيتها في طريقة إعطائي الدواء، تحضر لي الماء وتضع الحبات في يدي، وتتأكَّد قبل أن تغادر أنَّني ابتلعتها، لكنها تغادر مسرعة في أكثر الأحيان مما يُمَكِّنني من إخراجها من أسفل لساني والإلقاء بها خلف السرير!

لم أَعُدْ أخرج من البيت، أنا مفضوح أمام الجميع، مواطن (درجة ثانية) يخافون الحديث إليه، ويستقبلون حديثه بِرِيبَة وقلق، لن يتوَّرع أحدهم أن يقول عني مجنون أو يسخر من وجودي، كل ما كنت أشعر به قبل دخولي المستشفى سيتضاعف بعد خروجي منها، لن ينسوا أبدًا أنَّني وردت إلى الجحيم حتى لو عُدْتُ إلى جنتهم المدَّعَاة.

أول خروج لي لهذا العالم حاولت ألَّا أنظر لأحد بشكل مباشر، كنت أنظر في الفراغ، لأنه لن يسألني: «ماذا تريد؟!» ثم صرت بعد ذلك لا أخرج إلا ليلًا؛ حيث ينام البشر وتصير الشوارع خالية

t.me/qurssan

إلا من أمثالي، تعترض أمي على خروجي الليلي، ربما لأنها لن تتمكَّن من السير خلفي، أُطمئِنها هازئًا:

– مش أنا باخد الدوا قلقانة من إيه؟!

تنظر لي نُهَى بقلق مفتش مباحث، وتسأل أمي بإلحاح:

– أنتِ متأكدة أنه بياخده؟!

أحدجها بغيظ:

– ليه شايفاني لسه مجنون؟!

لم أَعُد أتحدَّث إلى نُهَى، كنا نلتقي في أنحاء البيت ولا نتحدث، أصاب الخرس ما تبقي من علاقتنا، تذكرت أحاديثي الطويلة مع جِنِّيَّتي، لم أكن أمل وقتها من الحكايات، كلما نظرت إلى نُهَى انتابني ضيق، أرى الخيوط التي تربطها وتحركها من الأعلى وهي بلا إرادة تسير، وجودها جواري رغمًا عنها، نومها مفتوحة العينين على السرير رغمًا عنها، رعايتها لطفلتي رغمًا عنها، أستشِفُّ ما يفتعل بصدرها، لم تكذب حين أخبرتني أنها خائفة، هي خائفة مني، من أمي، من حديث الجيران، من أسئلة طفلتي حين تكبر، من البقاء جواري، ومن تركي، ما زالت تُشفِق عليَّ، هل الشفقة وحدها تكفي؟!

تركت البيت وأنا أعلم أن نُهَى ستفتش الحجرة عن أي دليل يثبت صدق حدسها، بعد أن همست في أذن أمي:

– شكله مش مظبوط، شكله ما بياخدش الدوا.

لو أزاحت السرير قليلًا سترى الحبوب على الأرض، أنا لست

t.me/qurssan

مريضًا يا نُهَى، أنا صاحب معجزة ينكرها البشر، أملك شيئًا غير تقليديٍّ، وهم اعتادوا كل ما هو تقليدي، الحكايات التقليدية، الآراء التقليدية، الحياة التقليدية، كل ما هو غريب يصيبهم بخيبة واضحة، يهز كل ما هو تقليدي بداخلهم، فلم يجدوا غير طريق واحد للخلاص، لوقف الصراع الذي ينفعل داخل صدورهم، لا بدَّ من التخلص من كل ما هو غريب ورجمه حتى الموت!

أَتَحْتُ لهما الفرصة لِيُفَتِّشا خلفي، وسط ملابسي، بين دفاتري، تحت السرير، وعند عودتي لم أجد ابنتي وكانت نُهَى تجهِّز شنطتها لترحل.

– قتلتِ البنت خلاص؟!

– ليه هو أنا زيَّك؟!

– عندك حق، إنتِ عاقلة والناس كلها تشهد بِدَه، لكن أنا مجنون يا حرام! خلاص هتمشي؟!

– ...!

– أنتِ عمرك ماحبتيني يا نُهَى، أنا بس كنت بَاصْعب عليكِ، ووقت الصعبانيات انتهى!

– أنتَ اللي مصر تصعَّبها علينا، أنت اللي مش عايز تخف، وأنا خلاص مش قادرة أستحمل.

– أنا خنتك في المستشفى على فكرة.

– مع مين؟! العفاريت بتوعك؟!

t.me/qurssan

– أنتِ طالق.

نظرت إلى أمي التي تقف جوارها، كنت أعلم أنها لن تظلمها ثانيةً من أجلي كما كانت تقول، توجَّهتُ لأمي بالحديث:

– للأسف علاقتنا أبدية، ما ينفعش أقولك أنتِ طالق فتلِمِّي شنطة هدومك وتمشي!

– ...!

– هفضل في رقبتِك لحد ما تموتي، ليه ما جتيش تزوريني بعد آخر مرة؟! مش قلت لك ما تقطعيش الزيارات؟!

– ...!

نظرت إلى أمي، لم أَعُد أكرهها، وصرت أتشكَّك في أنها وضعت لي السم، ربما تراجعت في آخر لحظة، وقالت: «مش هعمل كده في ابني الوحيد»! رغم ذلك لا أشعر تجاهها بشيء، لا أشعر أنها المرأة التي ولدتني وأرضعتي، لم أَعُد أَحِنُّ لحضنها، كنت أعلم أنها ستُدخِلني المستشفى ثانيةً، وستتركني فيها للأبد! لن أصبح كالمستشار!

– أنا كنت وَعَدْتِك زمان إني لما أطفش من البيت هبقي ألبس شيك مش كده؟!

تركتها ودلفت إلى حجرتي، في الوقت الذي خرجت فيه نُهَى من البيت، كنت أعلم أنها لن تعود ثانيةً، ولن تحس يومًا بالندم على قرارها. بحثت في دولابي عن لبس شيك، لم أجد غير بدلة عُرْسِي، لم تَعُد لها فائدة الآن!

t.me/qurssan

(27)

حكاية قاتل ظَنَّ نفسه مرآة!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

انتظرت بعد أن ارتديت البدلة أن تأتي أمي وترجوني ألَّا أرحل، أن تخبرني أنها لن تُلقِي بي مجدَّدًا داخل أسوار المستشفى وتتركني داخلها للأبد، لكنها لم تفعل!

تأملت «كتاتونيا» الذي يتدلَّى من سقف حجرتي، وجهه أزرق مرعب، يُردِّد بصوت عميق: اهرب بأقصى سرعة!

لا بُدَّ من معرفة الحقيقة، والحقيقة قد تكون مخيفة؛ لذا أخذت حَذَرِي وسكين المطبخ، وأخفيته كما اعتدت دومًا داخل بنطالي، انطلقت مسرعًا تاركًا جثته على حالها، تتحرك كبندول ساعة لن يتوقف، لم أنظر إلى وجه أمي مباشرة، تركتها متسمِّرة أمام باب الشقة وأنا أتهرَّب من النظر إلى عينيها، لم تغلقه خلفي، جَلَسَتْ على كرسي في صالة البيت وتركته مفتوحًا!

مسحْتُ دمعة اعتلت وجهي قبل أن أخطو إلى الشارع، ثم مسحت العمارة بنظرة أخيرة مودعة، أتبعتها بنظرة أخرى طويلة على صورة جماعية قديمة وجدتها في جيب الجاكت، الصورة تجمعني بأمي ونُهَى قبل ولادة بنتنا، مزَّقتها وأنا أسمع صرخاتها تطير في الهواء قطعًا متفرقة، وتُرَدِّد في غيظ: ما بك أيها المجنون؟!

لم أكن أعرف إلى أين سأذهب؟! سحبت أقدامي، أَجُرُّ جسدي لأماكن لم أزرها من قبل، أنتظر أية إشارة لتنهِي مأساتي، كنت تائهًا كطفل فقد كل شيء، يعود إلى أيامه الأولى، يحاول

t.me/qurssan

أن يمشي فيسقط، أن يتحدث فلا يخرج منه غير صراخ غير مفهوم، الجميع حوله، لكنهم يرقبونه بعيون غبية، لا يفهمون ماذا يريد؟! يحاولون إسكاته ببعض المسكنات لكن وجعه لا يهدأ، جلست على الرصيف أبكي، وأنا أعلم أن البكاء لن يُغَيِّر شيئًا!

مسحت الضباب عن عينيَّ، فأحسست بطيف يبرق أمامي دون أن أعرف هويته أو ملامحه، شعرت أن عذابي سينتهي إذا عُدْتُ ثانية إلى الشارع المظلم الذي قتلت سعيد فيه، أو من كنت أظنه سعيد، لا بدَّ أن الجثة هناك، وعليَّ أن أعرف هويتها.

كنت في البداية خائفًا، وخصوصًا أن الوقت تجاوز منتصف الليل بقليل، لكن لا مفر من إنهاء تلك المأساة، ربما لو عرفت القتيل، تركني لحالي دون مراقبة.

وقفت أمام الزقاق، كان خاليًا من الرفقاء ومخنوقًا بين بنايتين، لم أَرَ جثة في منتصفه، ليس هناك عظام ناتئة بين مياه الصرف، ما لاحظته أنه كان هناك، ذاك الطيف الذي يبرق، ينتظرني في نهاية الشارع، بَدَا لي أنه يتحرك نحوي؛ خطوة، اثنتين، ثلاثًا ثم يلامس كتفي كتفه ويلتفت بهدوء دون أن ينظر إليَّ بدقة ليقول: معذرة! ويمر المشهد بشكل عادي دون أن يشعر أنه تسبب لي بمشكلة قد لا يكون لها حل! قلت لنفسي لا بدَّ أنه ذاك الرجل الذي يراقبني منذ فترة، أمسكت سكيني دون أن أخرجه، الليلة الأمر يتطوَّر لدرجة مرعبة. لم يكن الرجل خلفي كما اعتدت، لم

t.me/qurssan

يكن شبحًا، إنه أمامي مباشرة من لحم ودم، دم يغلي بكراهيتي، اليوم أعلم أنَّني قتلته من قبل، وقد أتى لينتقم مني، أشم عرقه ورغبته في إلحاق الأذى بي، كان من السهل أن أتراجع للخلف، أن أستدير فجأة بعد خطوتين مخادعتين. أن أتوقف في محاولة بائسة لتفحص ظلمة الزقاق الضيق القذر والتفكير في خطة بديلة، كأَنْ أفكر في سبب العطل الذي حدث لماسورة الصرف! أو مصدر المياه التي تصنع ضجيجًا متناغمًا: تِنْ، تِنْ، تِنْ! سمعت صوت «كتاتونيا» واضحًا يردِّد: اهرب! لو هربت سأفقد الحقيقة، ولن أتحمل وقتًا آخر بلا حقيقة.

خطوة، اثنتين، ثلاثًا، يتحرك مثلي تمامًا بالسرعة نفسها، أخرجت سكيني في الوقت الذي أخرج فيه سكينه، كل شيء أخذ دورته في رأسي عَدَا أن يلامس كتفه كتفي، ويلعقني بنظرة عن قرب، نظرة فاحصة لعيني، تلك النظرة التي يجيدها كثيرون، نظرة ثابتة وعميقة لمركز الرؤية مباشرة، سيعرف أنَّني خائب في قيادة بؤبؤ عيني وفقًا لرغبتي؛ فأنا لا أعرف تحديدًا من أين يأتيني الخطر! حاولت أن أدقِّق النظر فيه، اكتشفت أن له نفسَ طولي وهيئتي، يقلدني وأنا أتحرك، لا بدَّ أنها وسيلته للسخرية، لم ألتقط ملامحه حتى حين لامسني بجسده المربع، لم أنتبه سوى لبدلة أنيقة، بدلة تحتضن سكينًا مرتعشًا بين أصابعي، احتضن السكين بين ضلوعه في عناق طويل وربما أبدي، التصقت عيناي بالسكين الذي لم يخطئ هدفه وصرخت في نفسي: «هل قتلته بالفعل لمرة ثانية؟!» لن أهرب كالمرة الفائتة، نظرت إلى وجهه،

t.me/qurssan

يشبهني تمامًا، لا يختلف عن وجهي سوى في علامات الفزع، الفزع الذي لم يجربه أحد من قبل! نظرت إلى البدلة التي أرتديها، كانت دامية! تحتضن سكيني! «هل قتلت نفسي؟!» متى تحولت لمرآة ضخمة؟! تتكسَّر إلى آلاف القطع حين تتلقَّى ضربة سكين؟! أحسست بهشاشة الزجاج وأنا أسقط! لقد كنت مُحِقًّا منذ البداية!

سقطت على الأرض ألهث، رأيت «كتاتونيا» فوقي يتدلَّى من السماء، يغمز لي ويبتسم، فابتسمت وكياني يردِّد: هربت يا صديقي، لم أحتمل الحقيقة، ثم صرخت فيه ليتوقف عن الاهتزاز: ما بك أيها المجنون؟!

انتزعتني صرخة امرأة من قبري الأسفلتي، لا بدَّ أنها رأتني ملقًى هنا، في الزقاق المخنوق برائحة العفن، تسير المرأة ولا تدرك أنها ستلتقي بي، حين اقتربت ورأت جسدي الذي يوقف خطواتها، شهقت! جنِّيَّتي العارية! أخيرًا أَتَتْنِي، لاحظت اختفاء الانتفاخ ببطنها! أين ذهب جنينها؟! قلَّبَتْ جسدي وهي تبكي صارخة، حاولت طمأنتها، لكن صوتي خرج ضعيفًا مبحوحًا، أدركت أن أنفاسي تذهب بلا عودة، نامت فوقي لتغلق الثقب الذي تنسحب منه روحي، كانت ملائكية لها جناحان يصلان إلى السماء، رأسها قمر فضي، وجسدها أزرق بلوري، لم أَرَ أجمل منها في حياتي، لامست عناقيد شعرها الغجري الذي يتطوَّح مع الريح، كان أسود كالليالي الطويلة التي مرت بي، طويلًا يصل إلى

t.me/qurssan

كعبها، لها كعب ناصع أبيض، رغم أنها تسير في الشوارع حافية، همست في أذني بصوت أسطوري: ما زلت ساخنًا كَحَيٍّ يمكن إصلاح ما فسد منه!

تعالت صرخاتها واشتبكت في نُواحِها مع مواء قطة أنهت لتوها علاقة حميمية مع قط تحبه. صراخاتها قادرة على إيقاظي، اشتعلت رغبتي في جسدها الضبابي الأزرق، شعرت أننا إذا التحمنا سنصنع معًا لوحة سماوية، أحسَّت بما أفكر فيه، فخلعت عني ما تبقَّى من الدنيا، وصوتها يتردَّد في السماء: أنا قادرة على إحيائك، سِتٌّ أرواح تكفي لِلَّهْوِ، السابعة لك يا حبيبي المقتول!»

كنت أذوب، ليس مخي فقط، كل جسدي يذوب ليلتحم بِنُقَرِ الأسفلت الرديء! يزحف على الطرقات ويندمج بكل ما يقابله، يزحف إلى العقول النائمة فتستيقظ وتفكر في أفكار ليست لها، أفكار مجنونة مثلي، ألست مجنونًا في نظرهم؟! فليختبروا قليلًا من الجنون! كنت مستمتعًا بذوباني العالمي، وقدرتي الهائلة!

غاص ما تبقى مني داخل جنِّيَّتي منتصبًا بعد أن خلعت بنطالي، ثم انطفأ داخل رحمها الواسع الذي يحتضن آخر ما تبقَّى من الروح، انتابني صفو لا تُكَدِّره الدنيا، سعادة حقيقية بلا منغِّصات، هل أحلم؟! أَتَتْنِي صرختها، لحظة انفجار بكارتها على يد مَيِّت يبحث عن الحياة، وسال دمها داخل دمي!

t.me/qurssan

لن يكون هنا في الشارع المظلم جثة، فقط انعكاس السماء على الأرض، تدهسه الأقدام دون أن تدري، كومة من الزجاج المهشم التي يمر بها المارة دون أن يسألوا من أين أتت؟! كيف؟! ولماذا؟! يظنون أن حادث سير هو السبب، أو أن طوبة طائشة تخلت عن الأسفلت وانفلتت في تصرفاتها، لن يتخيلوا أبدًا أن تلك الكومة – بطريقة مُعَقَّدة- هي أنا!

تأملت مئات القطط التي اجتمعت حولنا، لم أغضب من وجودها وابتسمت، لكن جنيتي بكت وهي تلحظ وجهي باهتًا، ثم دفنت جسدها داخلي، داخل ذرات الزجاج التي تحتك بجسدها الطري، وصرخت بي:

– ما تسبنيش! أنا ما ليش غيرك! هعمل إيه في الشوارع الضالمة؟!

– مش هسيبك أبدًا، هتلاقيني في كل حتة حواليكِ! زي ما كنت جمبك في المستشفى، أنا الجنِّي اللي مش هيفارقك أبدًا!

تحسست الخربشات التي انحفرت في جلدها، بطنها بدأت تنتفخ، جزء مني يتشكل داخلها، نظرت إلى «كتاتونيا» الذي يشدني للأعلى، وتحجَّر وجهي على ابتسامة مُطمئنة، ولم يَعُد قادرًا على الحركة بعدها، هل هذا هو الموت؟! قبَّلتني قبلة أخيرة، لعقت فيها وجهي الذي يذوب، وتركت ما تبقَّى مني لمئات القطط التي تموء حولنا!

t.me/qurssan

t.me/qurssan

منشورات إبـيـدي

© جميع الحقوق محفوظة للناشر و أي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو الكترونية أو أي وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

t.me/qurssan